كاليماخوس القوريني

للدكتور ابراهيم نصحي
استاذ التاريخ القديم
ورئيس قسم التاريخ بالجامعة الليبية

إذا كان من المتفق عليه عند البحث في التاريخ العام تسمية القرون الثلاثة التي أعقبت وفاة الاسكندر الأكبر في عام ٣٢٣ ق. م. بالعصر الهلينيسي لما لهذه التسمية من صفة الشمول التي تلائم التاريخ العام ، فلعله عند البحث في تاريخ الأدب أن يكون أصدق انطباقاً على هذه القرون تسميتها بعصر الاسكندرية[١] . ذلك أن هذه المدينة أصبحت منذ القرن الثالث قبل الميلاد عاصمة الأدب الاغريقي، فقد كان لحدب البطالمة وعطفهم على الأدباء والعلماء وقيامهم بإنشاء دار العلم أو الجامعة ومكتبتها الكبرى قدرة عجيبة على اجتذاب محبي البحث في العلم والأدب الى الاسكندرية . وقد أنشئت دار العلم على نمط مدارس أثينا الفلسفية وبخاصة أكاديمية أفلاطون وليكيوم ارسطو ، وعرفت هذه الدار على نحو ما عرف الكثير

---

١ انظر فيليب اميل لجران « شعر الاسكندرية » ترجمة المرحوم الدكتور محمد صقر خفاجة ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ١٨ .

غيرها من دور العلم القديمة باسم الموزيون (mouseion أو museum = موئل ربات التاريخ والآداب والفنون والفلك) ، لكن معهد الاسكندرية فاق سائر معاهد العلم القديمة طراً الى حد أن ذكر الموزيون دون تخصيص عند الكلام عن الحركة الفكرية قديماً ، لا يمكن أن يوحي الى الذهن بأي معهد آخر سواه . وتحدثنا المصادر القديمة بأن معهد الاسكندرية كان يؤلف جزءاً من الحي الملكي ، ويتألف من متنزه فسيح ومجموعة من المباني تضم قاعات للبحوث العلمية فضلاً عن قاعة عامة للأكل وأماكن لأقامة العلماء والأدباء أعضاء المعهد ، وبأن الملوك كانوا يجرون عليهم الأرزاق السخية ، ويوفرون لهم حاجاتهم المادية جميعاً ، ويعفونهم من دفع الضرائب ومن أداء أي عمل يصرفهم عن بحوثهم ، وبأنه كان في متناول أيديهم محتويات المكتبة الكبرى ، وكانت أعظم دور الكتب في العصور القديمة[1] .

ولم يكن غريباً أن يسترعي كل ذلك انتباه كاليماخوس وان يجتذبه الى الاسكندرية مثل ما اجتذب غيره . ومما يؤسف له أننا لا نستطيع ان نستمد سواء من مؤلفات كاليماخوس أم من المصادر القديمة الأخرى سوى معلومات طفيفة عن حياته[2] . ومصدرنا القديم الرئيسي في هذا الصدد هو معجم سويداس[3] ، حيث جاء أن كاليماخوس ولد في قوريني من أبوين

---

١ ابراهيم نصحي ، مصر في عصر البطالمة ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، الجزء الرابع ص، ٢٠٧ وما بعدها .

٢ Mair, Callimachus, Loeb Cl. L., 1960, pp. 1 ff; Trypanis, Callimachus, Loeb Cl. L., 1958, PP. VII ff.

٣ Suidas, s.v. Kallimachos

والمصادر القديمة الاخرى هي :

(a) Scholium Plautinum (b) Anecdota Graeca (c) Tzetzes, Prolegomena to Aristophanes

وتوجد مناقشة مستفيضة لكل ذلك في :

Cahen, E., Callimaque, 1922, pp. 11 ff.

هما باتوس ومجاتيمى[1] ، ودرس عـلى الفقيه هرمواقرتس من ياسوس ، وتزوج ابنة يوفراتس السراقوسي[2]،وانه بلغ من خصب انتاج كاليماخوس أنه نظم قصائد بجميع أوزان الشعر كما كتب نثراً كثيراً فزاد عدد مؤلفاته على الثمانمائة،وأنه قبل أن يحظى برعاية بطلميوس الثاني كان يقوم بتدريس قواعد اللغة الأغريقية في اليوسيس (Eleusis) احدى ضواحي الاسكندرية وانه كان يعيش في عصر بطلميوس الثـاني (٢٨٣ – ٢٤٦ ق. م.) وعلى قيد الحياة عندما ارتقى العرش بطلميوس الثالث .

واذا كان سويداس يذكر اسم أخت كاليماخوس واسم ابنهـا ، فإنه لا يذكر اسم زوجة شاعرنا الكبير ولا يعطينا سواء تاريخ مولده أم تاريخ وفاته . واذا كان يتعذر علينا تحديد هذين التاريخين ، فإنـه يتبين من أشعار كاليماخوس انه كان على اتصال وثيق ببـلاط بطلميوس الثاني في خلال الجانب الأكبر من عهد هذا الملك وكذلك ببلاط بطلميوس الثالث في خلال الشطر الأول على الأقل من هذا العهد ، وانه كان من الرعيل الأول من شعراء الاسكندريـة الفارهين أصغر قليـلاً من ثيوفرينوس[3] واراتوس[4] وأكبر من تلميذه أبولونيوس . ولما كانمعنى ذلك ان كاليماخوس كان شاعراً مرموقاً طوال فترة تمتد من ثمانينات القرن الثالث قبل الميلاد الى حوالى آخر اربعينات هـذا القرن ، فإن هذا يوحي بأنه ولد عنـد

---

١ اسم أم كاليماخوس كما ورد عند سويداس هو « مساتيمي » لكـن الباحثين يرجحون ان « مجاتيمي » أصح . انظر :
Wilamowitz, Hell. Dicht. I, p. 170.

٢ يرجح البعض ان اسم حمى كاليماخـوس لم يكن يوفراتس وانمـا يوفرايوس ، انظر :
Tripanis, op. cit., p. VII, fn. e.

٣ Pfeiffer, Callimachos, II, pp. XIII ff; Herter, Gnomon, XIX, 1943, pp. 325 ff. pp. 325 ff.

٤ Achilles Tatius, Vita Arat., 4., p. 78. 22 M.

منتصف الربع الأخير من القرن الرابع وتوفي حوالى أواخر الثلث الثاني من القرن الثالث قبل الميلاد .

ولا يبعد أن يكون كاليماخوس صادقاً في قوله بأنه كان سليل باتوس الأول مؤسس قوريني[1] . وعلى كل حال فإنه يبدو انه كان سليل أسرة ذات شأن كبير في قوريني ، ذلك اننا نتبين من احدى قصائده القصيدة (ابيجراما)[2] أن جده كان قائداً عسكرياً نابه الذكر . بيـــد انه سواء أكان من سلالة أسرة باتوس الأول أم كان من سلالة أسرة أخرى كبيرة، فإنه يبين انه عقب سقوط أسرة باتوس وما شهدته قورينائية (برقة) من اضطرابات عاصفة في خلال العصر الجمهوري أفضت الى وقوعها آخـــر الأمر في قبضة بطلميوس الأول ، ساءت حال أسرة كاليماخوس وعانت من شظف الحياة ما اضطره الى الرحيل عن مسقـــط رأسه خالي الوفاض ينشد تكسب رزقه عن طريق أدنى المهن حظاً من متاع الدنيا وهي مهنة التدريس ، فقد كانت مضرب الأمثال لذلك في العصور القديمة[3] .

ولا سبيل لدينا الى معرفة التاريخ الذي حظى فيه كاليماخوس برعاية بطلميوس الثاني ، ولا كيفية فوزه بهذه الرعاية ، وان كان من المرجح أن تكون أشعاره هي التي أكسبته هذه الحظوة . ويبدو ان حياته تغيرت تغيراً ملحوظاً منذ ذلك الوقت عندما عيّن في المكتبة الكبرى. ويرى بعض الباحثين ان كاليماخوس تولى منصب أمين هذه المكتبة[4] ، لكننا نميل الى

---

١ Hymn II, 65 with Diegesis and Scholia to this line; Strabo, XVII, 837.

٢ Epigram 28, Mair, pp. 152-3.

٣ Collart, Chronique d'Egypte, 1935, p. 494; Rostovtzeff, Soc. and Ec. Hist. Hell. World, p. 1082.

٤ Beloch, Gr. Gesch., IV2, pp. 592 ff.; Parson, Alex. Libr., p. 160; Sarton, Hell. Science and Culture in the last three Cent. B. C., pp. 143, 151.

الأخذ بالرأي المعارض[1] ولا سيما اننا نتبين من بردية[2] نشرت حديثاً ان ان الذين عيّنوا أمناء للمكتبة الكبرى بعد زنودتوس – أول أمين لهـذه المكتبة – كانوا على التوالي : ابولونيوس الرودسي واراتوسثينس القوريني واريستوفانس البيزنطي وابولونيوس مؤرخ الأدب الاغريقي واريستارخوس وكيداس .

وعلى كل حال لا جدال في ان كاليماخوس اضطلع في المكتبة الكبرى بمهمة جليلة الشأن وهـي وضع فهارس مصنفـة (Pinakes) لمحتويات المكتبة . وقد صنّف كاليماخوس الكتب ثمانيـة أصناف كانت كما يلي : ١ – المسرحيات ٢ – الملاحم والشعر الغنائي ٣ – التشريع ٤ – الفلسفة ٥ – التاريخ ٦ – الخطب ٧ – علم الخطابة ٨ – موضوعات مختلفة . واتبع كاليماخوس في فهرسة الكتب نظامين، ذلك انه رتب بعض الأصناف ترتيباً زمنياً ، ورتب البعض الآخر ترتيباً أبجديـاً إما للموضوعات وإما للمؤلفين . وفضلاً عن أسماء المؤلفين وأسماء المؤلفات ، كانت الفهارس تتضمن الجملة الأولى من كل كتاب وعدد سطوره وترجمة أدبية موجزة لمؤلفه[3].

والى جانب أداء كاليماخوس هذه الخدمة العلمية الجليلة الشأن ، كانت له أعمال نثرية عظيمة القدر كثيرة العدد كان من أشهرها السجل التاريخي لشعراء التراجيديا الأثينيين ، ودراسة في مؤلفـات ديموقريتوس ولغته ، وموسوعات متعددة ، ومعاجم شتى . ولا أدل عـلى مكانة كاليماخوس العلمية قديماً من انه قد تتلمذ عليه كثيرون من أعلام الفكر مثل اراتوسثينس القوريني واريستوفانس البيزنطي وابولونيوس الرودسي . فلا غرابـة أن تفقه كاليماخوس ونشاطه العلمي تركا أثراً أي أثر في شعره أضفى عليـه طابعاً علمياً ملموساً . وازاء ذلك يجدر بنا التنويه بادىء ذي بدء الى انه

---

١ Wilamowitz, p. 206.

٢ P. Oxy., X., 1241.

٣ C. A. H. VII, p. 253; Sarton, p. 151.

عند تقدير مواهب كاليماخوس الشعرية يجب ألا يغرب عن البال انه لم يكن شاعراً فحسب بل كان أيضاً فقيهاً وناقداً أدبياً نمت فيه نمواً عظيماً هذه الصفات جميعاً جنباً الى جنب . بيد ان شهرة كاليماخوس اليوم ومكانته الأدبية ترتكزان أساساً على أشعاره ، ويمكن تصنيفها على النحو التالي : ١ ــ الأناشيد . ٢ ــ مجموعة من القصائد تعرف باسم اليامبيات (Iambi) نسبة الى ذلك النوع من الوزن المستخدم في اشعارها . ٣ ــ مجموعة من القصائد القصيرة تدعى ابيجراماتا ومفردها ابيجراما . ٤ ــ الأشعار الغنائية . ٥ ــ الملاحم القصيرة . ٦ ــ ديوان «الأسباب»[١].

واذا كان أكثر أشعار كاليماخوس قد ضاع ولم يصل الينا منها كاملاً الا الأناشيد وبعض الابيجرامات[٢] ، فإننا نستطيع الوقوف على فحوى هذه الأشعار بفضل الملخصات القديمة (Diegeseis) وهي التي تتضمنها بعض برديات كشف عنها حديثاً . وقد وصلت الينا ثلاثة ملخصات كل منها قائم بذاته مستقل عن غيره ، لكنه يبدو من دراسة هذه الملخصات انها جميعاً مستمدة من مصدر قديم مشترك كان شائعاً معروفاً ويتضمن عناصر القصائد فضلاً عن معلومات أخرى عنها[٣] . واذا كان الملخص المعروف باسم ماخص ميلان[٤] (Milan Diegeseis) أكمل هذه الملخصات ، فإن الملخص الذي توجد بقاياه في بعض برديات البهنسة[٥] والملخص المعروف اسم الشرح الفلورنسي (Scholia Florentina) لا يقلان أهمية عن الملخص الأول بسبب ما يتضمنان من معلومات عن أجزاء القصائد التي يتناولانها[٦] .

---

١ أنظر القائمة الكاملة بأعمال كاليماخوس الشعرية والنثرية في :
Mair, pp. 11 ff.

٢ Rose, H. J., Handbook of Gr. Lit., p. 319.

٣ Pfeiffer, II, p. XXVIII and n. 1.

٤ P. Milan 18.

٥ P. Oxy. 2263; 2376; 2377.

٦ Trypanis, p. XIV.

الأناشيد :

واذا كانت أناشيد كاليماخوس الستة أكمل ما وصل الينا من قصائده، فإنها ليست أفضل هذه القصائد . ولا جدال في ان هذه الأناشيد تماثل الأناشيد الهومرية من ناحيتين ، واحداهما من حيث ان محور موضوعاتها آلهة وأماكن مقدسة ؛ والناحية الأخرى انها جميعاً، باستثناء النشيد الخامس فقط ، منظومة بالوزن السداسي . وهي تختلف عن الأناشيد الهومرية من ناحيتين أيضاً ، واحداهما انها تفيض بكنوز من المعلومات كانت ثمرة ما قام به كاليماخوس من البحث العلمي في المكتبة الكبرى، والناحية الأخرى انها لم تنظم للانشاد في مناسبات بعينها بدليل استحالة تصور انه كان في وسع أي جمهور عام استساغة مثل هذه الأناشيد الدسمة . وازاء ذلك فإن الفكرة القديمة القائلة بأن كاليماخوس نظم أناشيده على نحو ما فعل هوميروس لالقائها في مناسبات معينة[1] ، تبدو اليوم أقل قبولاً لدى الباحثين من الفكرة الحديثة القائلة بأن هذه الأناشيد لم تكن إلا أعمالاً أدبية نظمت ليسمعها أو ليتلوها صفوة المثقفين[2] .

ويستهل كاليماخوس نشيده الأول « الى زيوس »[3] بالاعراب عن رغبته في الاشادة بهذا الإلـه (ll. 1-9) ، ويتخذ من هذا معبرا الى دحض مزاعم كريت بأنها مسقط رأس زيوس[4] وتأييد أحقية اركاديا بهذا الشرف (ll. 10-52) ، وكذلك الى رفض مزاعم الشعراء القدماء بأن صدفة الاقتراع بين الآلهة هي التي جعلت زيوس كبيرهم جميعاً ، ذلك أن سمو

---

١ Susemihl, Gesh. d. Gr. Litt. in d. Alexanderzeit, I, p. 366; Couat, Poesie Alex., Alex., p. 198.

٢ Mair, p. 18; Barber, E.A., in Oxf. Class. Dict., s.v. Callimachus; Webster, Hell. Poetry and Art., 1967, p. 109.

٣ Mair, pp. 19-21, 36-47.

٤ Cook, A.B., Zeus, I, pp. 150 ff.

مكانة زيوس انما ترجع الى ما توافر له منذ نعومة أظفاره من مخايل النجابة والحكمة وأسباب المجد والعظمة فلم ير ذووه – برغم أنهم يكبرونه سناً – غضاضة في تبوئه عرش السماء (ll. 53-75) . ولم يلبث زيوس ان اتخذ من ملك الطيور (= النسر) رسوله ، وان اختار من البشر افضلهم جميعاً وأقامهم ملوكاً في سائر أنحاء الأرض ، وان اسبغ على الملوك الثروة والرفاهية بسخاء متفاوت، فملكنا فاق في ذلك الملوك الآخرين جميعاً (ll. 76-89) . ويختتم كاليماخوس النشيد بتحية زيوس والالتماس منه أن يضفي على البشر الطيبة والرفاهية معاً ، اذ انه لا فائدة ترجى من احداهما دون الأخرى (ll. 90-95) .

واننا لنلمس في هذا النشيد أن كاليماخوس قد اتخذ من اشادته بزيوس وسيلة لعرض درايته الواسعة بالأساطير والآداب الاغريقية القديمة، وكذلك لتوجيه التمجيد صوب ناحيتين ، احداهما صوب القورينيين المستعمرين الأوائل وهم الذين كان كاليماخوس – على حد قوله – ينحدر من سلالة ملكهم مؤسس قوريني ، الوطن الأول لكاليماخوس ، والناحية الأخرى صوب عاهل وطنه الثاني حيث استقر وطاب له العيش . والاتجاه الأول يبدو واضحاً في أمرين ، وأحدهما توجيه النشيد الى زيوس فهو لم يكن رب الأرباب فحسب بل كان أيضاً والد ابولو وارتميس وهما اللذان كانا يحتلان مكانة مرموقة عند القورينيين . والأمر الآخر تأييد أحقية اركاديا بأنها مسقط رأس زيوس ، ذلك أن اركاديا كانت جزءاً من البلوبونيز، وان الثيرانيين – وهم الذين كان منهم مؤسسو قوريني – كانوا يمتون بصلة القربى الى البلوبونيزيين . وان دل هذا على شيء فهو يدل على اعتزاز كاليماخوس بأصله وعلى حنينه الى وطنه الأول وهو ما سنجد أدلة عليه في مواضع أخرى .

ويرى الباحثون المحدثون في قول كاليماخوس بأن مواهب زيوس هي التي رفعته الى عرش السماء برغم انه كان أصغر اخوته تشبيهاً مقصوداً

لبطلميوس الثاني بزيوس ، فقد فضل هذا الملك على أخيه الأكبر منه ليرتقي عرش مصر ، ولذلك أشركه بطلميوس الأول معه في الملك منذ عام ٢٨٥ . وعندئذ لم يكن من الأخ الأكبر وهو المعروف ببطلميوس كراونوس (Keraunos = الصاعقة) إلا انه بارح مصر مؤملاً ان يجد في الخارج من المساعدة ما يعينه على الفوز بتاج مصر أو بما يعوضه عنه خيراً ، فانضم أولاً الى بلاط ليسيماخوس ملك تراقيا ومقدونيا . واذ باءت مساعيه هناك بالفشل التجأ الى سلوقس ملك بابل وسوريا فأحسن وفادته ووعده بالمساعدة في الاستيلاء على ارثه . وفي عام ٢٨١ ق. م. عندما التقى سلوقس مع ليسيماخوس عند كوروبديون (Koroupedion) ، حيث مني الأخير بالهزيمة ولقي مصرعه وأصبح عرش مقدونيا شاغراً ، عبر سلوقس الدردنيل في بداية العام التالي ليستولي على العرش الشاغر . وإذ أحس بطلميوس كراونوس بأن سلوقس لن يقيمه على عرش مصر وسيحرمه كل أمل في مقدونيا . انقض عليه وقتله ، فنادى الجيش بقاتل آخر خلفاء الاسكندر الذين عاصروه ملكاً على مقدنيا . وقد كان يناصب ملك مقدونيا الجديد العداء اثنان ، احدهما انطيوخوس الأول وهو الذي خلف أباه سلوقس في آسيا ولم يكن في وسعه ان يدع جانباً أطماع أبيه في عرش مقدونيا ولا الثأر له من قاتله . والعدو الآخر هو انتيجونوس جوناتاس وكان هو أيضاً يطالب بعرش مقدونيا. وكان عدوا بطلميوس كراونوس منافسين لأخيه ملك مصر ، ومن ثم أصبح الأخوان حليفين طبيعيين ضد انطيوخوس وانتيجونوس ، ولا سيما ان كراونوس سارع الى مناشدة صداقة أخيه ملك مصر متناسياً حرمانه إرثه واكتفاءه بما اكتسبه على حساب عدو أبيهما [1] ، لكن حكم بطلميوس كراونوس لم يعمر طويلاً لأنه قتل في عام ٢٧٩ [2] في اثناء الدفاع عن مملكته ضد الغال [3] .

١ Justin, XVII, 2, 9.

٢ ابراهيم نصحي الجزء الاول ص ١٠١ .

٣ Justin., XXIV, 3, 4.

وفي ضوء هذه الأحداث لا نستطيع قبول الرأي القائل بأن هذا النشيد كان دعوة الى كراونوس للتشبه بإخوة زيوس حين اعترفوا لأخيهم بالعرش[1] ونعتقد انه كان بمناسبة ما قام به كراونوس بالفعل من نزوله عن حقه في عرش مصر واعترافه لبطلميوس الثاني منفرداً بحقه في هذا العرش (عام ٢٨٠ – ٢٧٩) على غرار اعتراف اخوة زيوس بحقه في عرش السماء . ويؤكد أن النشيد يرجع الى فترة باكرة في عهد بطلميوس الثاني عدم ورود أية اشارة فيه الى زوجته ارسينوي الثانية وهي التي كان لها اكبر الأثر في احداث هذا العصر[2] منذ زواجها حوالى عام ٢٧٦ ق. م. بيد ان هذا لا يعني ان النشيد نظم بمناسبة تتويج بطلميوس الثاني، وذلك لسببين : واحدهما هو ان فحوى هذا النشيد لا توحي بأنه نشيد تتويج . والسبب الآخر هو انه عند تتويج بطلميوس الثاني في عام ٢٨٣ لم يكن كراونوس قد اعترف بعد لأخيه بحقه في عرش مصر .

ولعل هذا النشيد بما جاء فيه من تشبيه بطلميوس الثاني بزيوس، ومن الاشادة بمجد هذا الملك الذي فاق مجد الملوك الآخرين قاطبة ، ان يكون هو الذي اكسب كاليماخوس رعاية بطلميوس الثاني .

والنشيد الثاني (الى ابولو)[3] ينهض دليلاً آخر على حنين كاليماخوس الى وطنه الأول قوريني ، اذ ان أكثر الباحثين[4] يتفقون على ان النشيد الثاني نظم اجلالاً لاحتفال قوريني بعيد ابولو ، إلهها الحارس ، وكان يقام في خلال الشهر الدوري المقدس ، شهر كارنيوس (اغسطس – سبتمبر) ، ولذلك فانه كان يسمى بعيد ابولو الكارني . وقد تصور

---

١ Mair, p. 20.

٢ Wilamowitz, Textgesch. d. Gr. Bukol., p. 55.

٣ Mair, pp. 21-4,48-59.

٤ e.g. Couat, p. 235; Susemihl, I., p. 361; Maas, Hermes, XXV, 1950; Webster, p. 109.

الشاعر ان ابولو (أي تمثاله) كان على وشك الظهور أمام عباده ، فهو يصف العلامات الدالة على ذلك : ارتجاف شجرة الغار المقدسة ، اهتزاز المعبد ، إنحنـــاءة شجرة النخيل ، ارتفاع صوت البجعة (طائر ابولو المقدس) . وما ان يهل ابولو بطلعته على المعبد حتى يدعو شاعرنا الشباب الى التغني بمديحه ليطيب مقـــامهم ويطول في المدينة التي اعطاهـــا ابولو لأجدادهم (ll. 1-15) . وفي ثنايا هذا المديح يقول الشاعر « ومن يعادي ابولو خليق بأن يعادي مليكي» (l. 26) . وبعد ان يورد كاليماخوس مديح ابولو سارداً صفاته ، وكان من بينها انه باني المدن (ll. 16-64) ، يأتي على وصف انشاء قوريني ، وكيف ان ابولو حدث باتوس عن خصوبة أرضها ، وقاده هو ورفاقـــه إلى ليبيا ، فنزلوا أولاً عند ازيريس ثم قادهم الى موطن قبيلة الاسبوستاي ، حيث يوجد نبع قوري (Kure) ، فأقـــاموا هناك معبداً فخمـــاً لأبولو وشادوا مدينتهم (ll. 65-104) . وبعد ان يفسر كاليماخوس نشأة صيحة قديمة (Hie Paeeon) يختتم النشيد بتوجيه عبارات قارصة الى ناقديه (ll. 105-113) سنأتي اليها فيما بعد عند الكلام عن اتجاهات كاليماخوس الأدبية والنزاع الأدبي المشهور .

وهذا النشيد بالغ في أهميته ، فهو من ناحية يعتبر من أروع أناشيد كاليماخوس بوصف كونه عملاً أدبياً ممتازاً ، ومن ناحيـــة اخرى يعبّر بلغة الشاعر نفسه عن اتجاهاته الأدبية، وعن رأيه في بعض ما كان ناقدوه يأخذونه عليه ، ومن ناحية ثالثة يلقي ضوءاً ساطعاً على أصل اسم مدينة قوريني . ذلك ان الباحثين ذهبوا مذاهب شتى في تفسير مصدر اسم هذه المدينة، فبعضهم[1] يرى ان هذا الاسم مشتق من الكلمة الاغريقية (Kurtos) ومعناها السلة لما هنالك من وجه الشبه بين شكل السلة وشكل شاطىء برقة الشمالي . وبعضهم[2] يرى انه مشتق من كلمة (Kurios) بمعنى السيد لأن

---

١ Curtius, Grundzüge d. gr. Etymol., 5th ed., p. 158. 81.

٢ Studniczka, Kyrene, p. 151.

المدينة كانت سيدة هذه المنطقة . وبعضهم[1] يرى انه ليس الا اسم الحورية التسالية قوريني ، وهي التي تحدثنا الأساطير[2] بأنها بهرت ابولو بشجاعتها حين رآها تصرع أسداً بيديها عند جبل بليون (Pelion) في تساليا فهام بها حباً وحملها على بساط الريح الى ليبيا حيث أعرس بها في اليوم نفسه عند المكان الذي انشأ فيه باتوس مدينته .

واذا كان كاليماخوس يقف في نشيده الى ارتميس[3] عند القول بأن تساليا كانت مسرح الصراع بين الحورية والأسد (ll. 206-8) ، فانه يقول في نشيده الى ابولو ان هذا الإله وعروسه وقفا يرقبان باتوس ورفاقه من فوق تل الآس حيث قتلت الحورية الأسد الذي كان يفتك بمملكة يوروبولوس[4] (ll. 90-92) . بيد انه مما يجدر بالملاحظة ان كاليماخوس لم يقل بأن المدينة سميت باسم الحورية وانما قال ان أبولو قاد باتوس ورفاقه الى نبع قوري (l. 88) ، وهو النبع الذي سمي فيما بعد نبع ابولو على نحو ما نعرف من هرودوت[5] وهو الذي يفيض تاريخه بالأساطير ومع ذلك فإنه لم ينسب تسمية المدينة الى الحورية . ولما كان كاليماخوس الشاعر الفقيه وابن مدينة قوريني لم ينسب تسمية مسقط رأسه الى الحورية التسالية ، وكان قد قال ان ابولو قاد باتوس ورفاقه الى نبع قوري، وكان القوري هو الاسم الليبي لنبات ينمو بكثرة في هذا المكان[6] ، وكانت مدن قديمة

---

١ Bechtel, Nach r. Gölt. Ges. Wiss., 1890, p. 37.

٢ Hesiod., fr. 149; Pind., Pyth. Ode, IX, 17 ff; Schol. on l. 6.

٣ Mair, pp. 26-28, 60-83.

٤ وفقا لاسطورة اغريقية أحدث عهدا من الاسطورة الاصلية : كان يوروبولوس أحد ملوك ليبيا في العصور القديمة ، وكان هناك أسد يعيث فسادا في مملكته فوعد بأن يهبها لمن يقتل هذا الاسد . واذ نجحت الحورية قوريني في قتل الاسد فازت بالمملكة .
(Asecandros of Cyrene in Schol. Apoll. Rh.)

٥ IV, 158,3.

٦ Dioscorides Mat. med., II, 169 RV, ed. Wellmann, I, 235; Bertoldi, Melanges Boisacq. 1937, I, pp. 47-63.

كثيرة قد استمدت اسماءها من ابرز مميزات مواقعها من نبات او حيوان او تربة وتنتهي اسماؤها بالمقطع نفسه (ene) الذي ينتهي به اسم قوريني، ومثل ذلك موكيني وموتيليني وبايريني ، فانه لا يستبعد ان يكون اسم مدينة قوريني قد استمد كذلك من نبات القوري[1] ، وبذلك يكون معناه المكان الذي يكثر فيه هذا النبات . ويبدو انه لم توجد في الأصل اية صلة بين الحورية قوريني والمدينة قوريني ، فالمدينة لم تنشأ قبل عام ٦٣١ قبل الميلاد على حين ان اسطورة الحورية التسالية أقدم عهداً بدليل اشارة هسيودس اليها في احدى قصائده . وبناء على ذلك فان التماثل بين اسم الحورية واسم المدينة لم يكن الا من باب الصدفة وحدها . ولعل هذا التماثل هو الذي أوحى الى القورينيين في وقت متأخر نسبياً باتخاذ محبوبة إلههم الأكبر إلهة حارسة لهم ، وبابتكار اسطورة جديدة تجعل من موقع مدينتهم مكان الصراع بين الحورية والأسد وكذلك مكان الزواج المقدس الذي ربط الحورية بإلههم الأكبر[2] . وينهض دليلاً على عدم وجود اية صلة اصلاً بين المدينة والحورية التسالية وعلى تأخر انشاء هذه الصلة وابتكار الأسطورة التي تصورها ثلاثة أمور : اولاً،ان قصيدة بينداروس (البوثية التاسعة)[3] وهي التي نظمت احتفاء بانتصار تلسيكراتس القوريني في حفل الألعاب البوثية في عام ٤٧٤ ق. م. لا تجعل مسرح الصراع بين الحورية والأسد في المكان الذي انشئت فيه مدينة قوريني وانما في تساليا، وذلك وفقاً للأسطورة القديمة . وابلغ في الدلالة من ذلك ان القصيدتين (البوثية الرابعة والبوثية الخامسة)[4] وهما اللتان نظمهما بينداروس في عام ٤٦٢ ق. م. اجلالاً لاركسيلاوس الرابع ملك قوريني وألقاهما في مدينة

---

١ Bertoldi, loc. cit.

٢ Chamoux, Cyrene, pp. 126-7, 276 ff.

٣ Sandys, Pindar, Loeb Cl. Lib., pp. 270-285.

٤ Sandys, pp. 196-231, 232-245.

قوريني ذاتها لا يرد فيها اي ذكر للحورية قوريني على الاطلاق . وان دل هذا على شيء فهو يدل على انه حتى ذلك الوقت لم يكن قد دار بعد بخلد القورينيين ان يربطوا بين مدينتهم والحورية التسالية، وتبعاً لذلك لم يكونوا قد فكروا بعد في اتخاذها إلهة لهم ، او نسجوا اسطورتهم الجديدة . وثانياً : ان هرودوت عندما كتب تاريخه في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد وروى قصة تأسيس مدينة قوريني على نحو ما رواها كاليماخوس لم يشر الى وجود أية صلة بين المدينة والحورية التسالية . وثالثاً ، ان أقدم المخلفات الأثرية التي تثبت وجود طقوس خاصة بعبادة الحورية في مدينة قوريني لا يمكن ان ترجع الى وقت يسبق اواخر القرن الرابع قبل الميلاد[1] .

وكيف نفسر اذن هذا التعارض بين قول كاليماخوس في نشيده الى ارتميس بأن الحورية صرعت الأسد في تساليا ، وهو يدل على انه قبل الأسطورة القديمة على نحو ما جاءت عند هسيودس وبيندار وس ، وبين قوله في نشيده الى ابولو بأن الحورية صرعت الأسد في المكان الذي أنشئت فيه مدينة قوريني ، وهو يدل على انه قبل أسطورة جديدة ؟ يجب أن نلاحظ أمرين : واحدهما ، ان كاليماخوس لم يكن فقيهاً فحسب بل كان أيضاً شاعراً قورينياً وفي الوقت نفسه شاعر البلاط البطلمي . والأمر الثاني انه قبيل الوقت الذي يبدو انه نظّم فيه نشيده كان قد وقع حادث تاريخي هام .

وبيان ذلك انه حين كان ماجاس، الأخ غير الشقيق لبطلميوس الثاني ، يحكم برقة بوصفه نائباً عن الملك البطلمي ، كان هناك صراع عنيف بين بطلميوس الثاني والملك السلوقي انطيوخوس الأول . وفي عام ٢٧٤ زوّج

---

١ Chamoux, p. 127 fn. 3, pp. 275-6.

انطيوخوس ابنته اباما الى ماجاس وأغراه باعلان استقلاله وبالزحف على الاسكندريـــة في الوقت الـذي يزحف فيه هو على « جوف سوريا »[1] (Coele Syria). واذا كانت محاولة ماجاس قد باءت بالفشل وأُرغم على الاذعان لأخيه ، فان العلاقات بين الأخوين ظلت متوترة . ويبـــدو أنه لضمان عدم تجدد أي متاعب من ناحية برقة ، قرر بطلميوس الثاني ادماجها في الدولة البطلمية ، ورأى ان الوسيلة المثلى لذلك هي زواج ولي عهـده من برينيقى وريثة ماجاس ، ولذلك فانه اقترح على ماجاس عقد الخطبة بين وريثيها . ويبدو ان ماجاس ، وقد تقدمت به السن وأدرك استحالـة امكان وقوف برقة في وجه مصر بعد وفاته،رحب بمساعي مصر الدبلوماسية لعقد هذه الخطبة حتى ينهي الخصومة التي دامت بينه وبين أخيـه حوالى خمسة عشر عاماً ، ويضمن لابنته لا عرش برقة فحسب بل عرش مصر أيضاً . ويبدو ان ماجـــاس توفي بعد ذلك بقليل (حوالى عام ٢٥٨) لأن الزواج لم يتم عندئذ. فقد كان واضحاً ان هذا الزواج يستتبع ادماج برقة في مصر بعـــد وفاة ماجاس وبطلميوس الثاني ، ولذلك فانه كان يعارضه في برقة حزب وطني كبير يرنو الى الاستقلال وتتزعمـــه اباما . وعندما توفي ماجاس رأت ارملته انها اذا حالت دون اتمام الزواج وزوجت برينيقى من امير آخر امكنها ان تحتفظ باستقلال برقة الذاتي ، وان تبقى على أسرتها الحاكمة ، وان تضمن لنفسها تبعاً لذلك السيطرة الفعليـة على برقة . ولعله ازاء النصر البحري الباهر الـذي كان انتيجونوس جوناتاس ملك مقدونيا قد أحرزه على بطلميوس الثاني حوالى هذا الوقت ، وقـع اختيار اباما على ديمتريوس « الجميل » اخي انتيجونوس . لكن ديمتريوس نفسه تسبب في فشل هذا الموضوع بصلفه وغروره ووقوعه في غرام اباما، فأوعزت برينيقى بقتله في فراش امها ، وقبضت على زمام السلطة (حوالى

---

١ كان اقليما يشمل فلسطين وجنوب سوريا وأصبح في حوزة البطالمة منذ عام ٣١٩/٣١٨ ق٠م٠

عام ٢٥٥) . ويبين انه قد تبع ذلك وقوع اضطرابات عنيفة في برقة وضع حداً لها التشريعات التي اقترحها الفيلسوفان اكديموس ودموفانس . ولم تلبث برينيقى ان تزوجت من خطيبها الأول ولي عهد مصر . ويحوم الشك حول تواريخ هذه الأحداث ، لكنه يبدو ان زواج برينيقى لم يسبق كثيراً ارتقاء زوجها عرش مصر في عام ٢٤٦ ق. م.

ويبدو ان كاليماخوس بوصفه فقيهاً قبل الاسطورة الأصلية ، ولكنه بوصفه شاعراً قوريني الأصل ينظم نشيداً في اجلال ابولو إلَه مسقط رأسه ، وكذلك بوصفه شاعر البلاط البطلمي قبل الاسطورة الجديدة، وذلك مجاملة لمواطنيه الذين يبدو انهم ابتكروا الاسطورة الجديدة منذ عهد غير بعيد ، وكذلك مجاملة لمليكته برينيقى من ناحية بوصفها قورينية ومن ناحية أخرى لأنه من اليسير رؤية وجه الشبه بينها وبين الحورية في الأسطورة الجديدة ، فقد خلّصت برينيقى برقة من ديمتريوس ومفاسده مثل ما خلّصت الحورية مملكة يوروبولوس من الأسد وضراوته .

اما عن تاريخ نظم هذا النشيد فانه ازاء قول الشارح القديم في تعليقه على البيت السادس والعشرين من أبيات هذا النشيد بأن المليك المقصود في هذا النشيد هو بطلميوس الثالث ، وازاء ما يجمع عليه الباحثون من ان كاليماخوس بقبوله الاسطورة الجديدة في هذا النشيد كان يستهدف ابراز وجه الشبه بين برينيقى زوجة بطلميوس الثالث والحورية قوريني ، وازاء قول كاليماخوس في البيتين السادس والعشرين والسابع والعشرين « مليكي » بصيغة المفرد ، لا بد من ان يكون هذا النشيد قد نظم في تاريخ تالٍ لا لزواج بطلميوس الثالث من برينيقى فحسب ، اي حين كان لا يزال ولياً للعهد ثم شريكاً لبطلميوس الثاني منذ عام ٢٤٧ ، بل تالٍ لارتقاء بطلميوس العرش في عام ٢٤٦ .

والنشيد الثالث « الى ارتميس »[1] عبارة عن ملحمة قصيرة تتغنى بمديح

---

١ Mair, pp. 26-28, 60-83.

الإلهة البتول ارتميس شقيقـــة ابولو التوأم ، وتروي أسطورتها في افاضة وفقاً لأدق المصادر القديمة ، فتتحدث عن صفاتها ومناقبها وأسمائها المتعددة مما جعلها تحظى بتقديس عدد لا حصر له من المدن الافريقية، كما تتحدث عن حورياتها – وكانت الحورية قوريني من أحبهن اليها – وعن مجالات نشاطها ، فهي تغشى الفيافي والوهـــاد وتجوب الغابات والأحراش لتنشر الخصب والنماء من أجل الانسان والحيوان سواء بسواء ، ولا تزور المدن الا حينما يأتي المخاض النساء وينشدن مساعدتها، فتخف اليهن لتأخذ بيدهن وتضفي عليهن وعلى نسلهن الصحة والعافية ، وتنشر لواء السكينة والوئام في كل مكان .

وأهم ما يعنينا في هذا النشيد أمـران : واحدهمـــا قبول كاليماخوس الأسطورة الأصلية القائلة بأن الحوريـــة قوريني صرعت الأسد في تساليا (ll. 206-8) على نحو ما مر بنا . والأمر الآخـر قول كاليماخوس ولا يفسد العلاقات في الأسرة وجود شقاق – وهو الذي يقطع أوصال أعرق البيوتات ، فزوجـة الأخ واخت الـــزوج يجلسان حول مائـــدة واحدة (ll. 135-5) . ونحن نتفق مع الرأي القائل بأن كاليماخوس يشير هنا الى ارسينوى الأولى وارسينوى الثانية قبل ان تفسد العلاقة بينهما[1] . وكانت الأولى ابنة ليسيماخوس ملك تراقيـا ومقدونيا والزوجـــة الأولى لبطلميوس الثاني . وكانت الثانية شقيقة بطلميوس الثاني وتزوجت ليسيماخوس حوالى عام ٣٠٠ ق. م. خدمة لأغراض أبيها السياسية واكتسبت سيطرة قوية على زوجها الى ان قتل في عام ٢٨١ ثم تزوجت أخاها غير الشقيق بطلميوس كراونوس لفترة قصيرة في عام ٢٨٠ ، ولكنه عندما قتل اثنين من أبنائها فرّت الى ساموتراقيا ثم الى افيسوس فمصر ، حيث لم تلبث ان دبرت ، فيما يبدو ، اقصاء الزوجة الأولى لبطلميوس الثاني . وفي ضوء هذا يبدو

---

١ Gerke, Rhein. Mus., XLII, 1897, pp. 273 ff.

أن يكون هذا النشيد قد نظّم عقب عودة ارسينوي الثانية الى مصر وقبل اقصاء ارسينوي الأولى ، أي الى حوالى عام ٢٧٩ ق. م. .

والنشيد الرابع « الى ديلوس »[1] يترنم بهذه الجزيرة المقدسة ، حيث ولد ابولو وارتميس ، وكان اسمها القديم استريا (ll. 1-54) ثم يروي كيف ان هيرا هاجت وثارت لأنه نتيجة للعلاقة التي أنشأها زيوس سراً مع ليتو – فقد كان زيوس أخ هيرا وزوجها ووالد ابنها آرس – كانت ليتو على وشك أن تضع طفلاً قدّر له أن يسمو على آرس بكثير. ولذلك فإن هيرا حظرت على أية بقعة في الدنيا أن تستقبل ليتو وتسمح لها بالوضع فيها ، وعهدت الى ابنها آرس والى رسولة الآلهة ايريس بالاشراف على مراعاة هذا الحظر (ll. 55-69) . وعندما أخذت ليتو تطوف بالمدن والجزر واحدة تلو أخرى مناشدة اياها ، دون جدوى ، أن تمنحها مأوى وملاذاً ، ووصلت الى جزيرة قوس (Cos) (ll. 70-161) أفضى الجنين الى أمه بنبوءة (ll. 162 ff.) استهلها بقوله « لا تلديني هنا يا أماه . أنا لا اعتراض لي على هذه الجزيرة ، ولا أحمل لها ضغناً ، فهي جزيرة باهرة وفيرة الخصب والنماء كأي جزيرة أخرى . بيد انه مقدر لهذه أن تشهد مولد إلَه آخر ، هو أعظم سلالة الآلهين المنقذين ، وهو الذي ستنضوي تحت عرشه – دون أن يبرم أحد من رعاياه بأنه يحكمه مقدوني – القارتان كلتاهما، وكذلك بلاد يحيط بها البحر وتمتد حتى أطارف الأرض...» وتمضي النبوءة فتتحدث عن انقضاض الغال على شبه جزيرة البلقان وعن هزيمتهم هناك ، وكذلك عن القضاء على جماعة منهم على ضفاف النيل . ثم ينصح ابولو أمه بأن تذهب الى جزيرة ديلوس (ll. 162-195) . واذ ترى الجزيرة الصغيرة ليتو التعسة ، يرقّ لها قلبها على الفور وتتحدى هيرا قائلة لها « افعلي بي ما تشائين ، فأنا لا أعبأ بتهديداتك.

---

١ Mair, pp. 28-30, 84-111.

تعالي الى أحضاني يا ليتو تعالي » (ll. 203-4) . . وعندئذ يغمر السرور قلب ليتو وتذهب الى ديلوس وتناشد ابنها أن يخرج من جوفها (ll. 205-15) . وعندما نما الى هيرا ما حدث ثارت أول الأمر، ولكنها لم تلبث ان غفرت لاستريا (ديلوس) ما اقترفته ، وذلك لأنها حين كانت حورية رفضت ان تبادل زيوس الهوى ، ولكي تتخلص من متابعته اياها ألقت بنفسها في اليم وتحولت الى جزيرة شأنها شأن الشهب التي تسقط من السماء في البحر (ll. 216-249) . وعندئذ يحتشد البجع ، طير ابولو المقدس ، من كل حدب وصوب ، وترتفع أهازيج الفرح ، وتخف الى ديلوس إلهة الولادة لتشرف على ميلاد ابولو ، وما أن يخرج الإلـه من بطن أمه حتى يتحول كل ما في ديلوس ذهباً (ll. 250-263) . ويمضي النشيد فيعدد مناقب ابولو وأماكن عبادته ، ويختتم بالاشادة بديلوس (ll. 264-326) .

وأهم ما يعنينا في هذا النشيد هو نبوءة ابولو بسبب اشارتها الى أحداث تاريخية هامة تساعد على تأريخ هذا النشيد . فالنبوءة تشير أولاً الى مولد بطلميوس الثاني في جزيرة قوس ، فقد ولد هذا العاهل في هذه الجزيرة في فبراير عام ٣٠٨[١] . وكان بطلميوس الثاني ابن بطلميوس الأول وبرينيكى الأولى وهما اللذان رفعا الى مصاف الآلهة بعد موتهما وعبدا رسمياً باسم الالهين المنقذين[٢] .

وتشير النبوءة ثانياً الى تأليه بطلميوس الثاني . وانه لما يستوقف النظر ان بعض الباحثين[٣] لا يزالون يرون ان بطلميوس الثاني لم يؤله إلا بعد وفاة ارسينوي الثانية في يوليه عام ٢٧٠ وتأليهها وقرنه معها في العبادة ،

---

١ Meyer, Unters. z. Chron. d. Erst. Ptol., 1925, p. 65.

٢ ابراهيم نصحي ، الجزء الثاني ، ص ص ٧٨ ـ ٨٠

٣ Trypanis, pp. X-XI (1958); Webster, p. 98 (1967).

ولذلك يرجعون هذا النشيد الى تاريخ تالٍ لتاريخ وفاة ارسينوي . واذا كان يوجد قديماً شك – وهو ما لم نشاركه ولم نر له مبرراً[1] – حول تأليه بطلميوس الثاني قبل وفاة ارسينوي ، فانه منذ بضع سنين لم يعد لهذا الشك أي داع وبالتالي لم يعد هناك أيضاً داع للافاضاة في تفنيد ذلك، لاننا اذا كنا لا نجد ذكراً للالهين الأخوين (ادلفوى = بطلميوس الثاني وارسينوي الثانية) في ديباجة وثيقة[2] من العام الثاني عشر من عهد بطلميوس الثاني (٢٧٤ – ٢٧٣) ، فاننا نتبين من محتويات وثيقة[3] نشرت منذ بضع سنوات أن عبادة الإلهين الأخوين كانت موجودة في العام الرابع عشر من عهد بطلميوس الثـــاني (٢٧٢ – ٢٧١) . وفضلاً عن ذلك فان الالهين الأخوين يرد ذكرهما في وثيقة[4] نشرت منذ عهد بعيد وترجع الى اليوم العشرين من شهر دايسيوس في العام الخامس عشر من عهد بطلميوس الثاني (أوائل يونيه عام ٢٧٠) على حين أن لوحة مندس تحدثنـــا بأن ارسينوي « صعدت الى السماء » في شهر باخون في العام الخـامس عشر من عهد بطلميوس الثاني (= ٩ يوليه عام ٢٧٠) .

وتشير النبوءة ثالثاً الى الممتلكات الواسعة التي أحرزها بطلميوس الثاني في الـــبر وفي البحر في افريقيا وفي آسيا . ولما كنا نعرف انه اذا كان بطلميوس الثاني قد استولى على ممتلكات في كاريا وكذلك على دمشق في عام ٢٨٠ – ٢٧٩ ، فان ممتلكاته لم تبلغ أقصى اتساعها إلا بعد الفشل الذي صادفه في بداية الحرب السورية نتيجة لثورة جنوده الغـال وخروج ماجاس على طاعته ، ذلك انه بعد قضائه على الغال ورد ماجاس عـــلى أعقابه وارغامه على الاعتراف له بالسيادة أحرز عـــلى انطيوخوس الأول

---

١ انظر ابراهيم نصحي ، تاريخ البطالمة الطبعتين الاولى ١٩٤٦ والثانيـة ١٩٦٠ .

٢ P.S.I., 321.

٣ P. Hibeh, II, No. 199.

٤ P. Hibeh, I, No. 99.

انتصارات باهرة اضطرته الى عقد الصلح في عام ٢٧٢ ق. م. وعند عقد هذا الصلح كانت سيادة بطلميوس تمتد على كل فينيقيا وجوف سوريا وجانباً كبيراً من شواطىء آسيا الصغرى الجنوبية والغربية ، فضلاً عن قبرص وساموس وجزر الكيكلاد ، الى جانب رضوخ ماجاس وقبائل المارماريد ؛ وكذلك بلاد النوبة[١] .

وتشير النبوءة رابعاً الى افناء جنود بطلميوس الثاني من مرتزقة الغال على ضفاف النيل ، وهم الذين تحدثنا المصادر القديمة بأن هذا العاهل كان قد استأجرهم مع غيرهم لمواجهة التهديد القادم من الغرب عندما أعلن ماجاس استقلاله وزحف على الاسكندرية في عام ٢٧٤ . ذلك أن باوسانياس يحدثنا بأنه عندما كان بطلميوس يستعد لمواجهة عدوان ماجاس استأجر جنوداً مرتزقة كان من بينهم أربعة آلاف من الغال ، واذ كشف بطلميوس انهم يتآمرون على ملكه ألقى القبض عليهم وأرسلهم الى جزيرة وسط النيل حيث قضى عليهم الجوع وكذلك صراعهم مع بعضهم بعضاً[٢] . وفي رواية أخرى أغرقهم بطلميوس عند مصب فرع النيل السبنيتي[٣] .

وفي ضوء الأحداث التاريخية التي وردت الاشارة اليها في نبوءة ابولو دون الاشارة الى وفاة ارسينوي الثانية ، من المرجح أن يكون كالياخوس قد نظم هذا النشيد فيما بين عام ٢٧٢ وهو العام الذي يبدو ان بطلميوس وارسينوي رفعا فيه الى مصاف الآلهة وكذلك عقد فيه الصلح الذي اعترف فيه لبطلميوس بفتوحاته الواسعة ، وبين عام ٢٧٠ وهو الذي توفيت فيه ارسينوي الثانية .

---

١ C.A.H., VII, pp. 703-4; Jouguet, Mac. Imp., p. 262; Cary, Greek World from 323-146 B.C., pp. 85, 104; Theocr., Idyll, XVII; Diod., I, 37,5.

٢ Paus., I, 7, 2.

٣ Schol. on v. 175.

وإذا كان النشيد الخامس « عن حمام بلاس »[1] (Pallas = الالهة أثينا) يخلو من الاشارة الى أي حدث من الاحداث التاريخية المعاصرة ، فانه بفضل جزالة شعره وبراعة ناظمه في تصوير المشهد وعواطف النظارة يعتبر هو والنشيدان الثاني والسادس ابرز أمثلة كاليماخوس التي تنم عن أصالته في هذا الطراز من الشعر . وهذا النشيد يدور — على نحو ما يتضح من عنوانه — حول وصف مهرجان ديني كان يقام بمناسبة استحمام « بلاس » أو بعبارة أدق غسل تمثالها . ووفقاً لما أورده الشارح القديم في تعليقه على البيت الأول من هذا النشيد ، جرت عادة نساء أرجوس أن يحملن في يوم معين تمثال الإلهة أثينا ودرع البطل ديومدس الى نهر ايناخوس حيث يقمن بغسلها . ويقال ان هذا التمثال هو ذلك الذي أحضره من طروادة البطلان اوديسيوس وديومدس وقام البطل الأخير بنقله الى ارجوس حيث قدم درعه قرباناً في معبد أثينا هناك . ويذكر باوسانياس[2] ان ديومدس أقام على اكروبول ارجوس معبداً للإلهة أثينا تخليداً لذكرى اليوم الذي أزاحت فيه الغشاوة عن عينيه حتى يبصر الله والانسان ، وذلك وفقاً لما جاء في الياذة هوميروس[3] .

والحديث يدور في هذا النشيد على لسان كاهنة أثينا في ارجوس، فهي تعطي التعليمات الى الفتيات اللاتي سيشاركن في غسل تمثال الإلهة ، وكما هي العادة ، تتحدث الكاهنة عن التمثال كما لو كان الإلهة ذاتها ، وهي تستحث الفتيات على القدوم لأن صهيل خيول عربة الإلهة ترتفع اعراباً عن برمها بالانتظار ، وتأمرهن بألا يحضرن مساحيق التجميل لأن الإلهة لم تستعمل المساحيق يوم محاكمة باريس (ll. 1-32) . ثم تروي الكاهنة

---

١ Mair, pp. 30-31, 112-123.

٢ Paus., II, 24,2.

٣ Il., V. 127 ff.

قصة ديومدس ، وتحذر الجميع من مياه النهر في ذلك اليوم لأن الإلهة على وشك الاستحمام هناك (ll. 33-56) . وتروي قصة تايرسياس وكيف أنه رأى عفواً الالهة وهي تستحم ففقد بصره جزاء ذلك (ll. 57-136) ويختتم النشيد بتحية الإلهة والدعاء لها لتنعم بركبها وتنشر الفرح والسرور بين الناس وتكلأهم برعايتها (ll. 137-142) . والقصص التي يتضمنها هذا النشيد تنم عن دراية كاليماخوس بالأساطير القديمة ، بيد انها مصوغة على النحو الذي ينتظر من كاهنة ارجوسية ان تستخدمه في روايتها لفتيات مدينتها اللائي سيشاركن في هذا المهرجان المقدس .

وازاء نظم هذا النشيد باللهجة الدورية ، وما يتردد فيه من حديث عن ديومدس وارجوس ، وما أورده الشارح القديم في تعليقه على البيت الأول منه ، لا يستبعد ما يذهب اليه بعض الباحثين[1] من ان يكون كاليماخوس قد نظم هذا النشيد بناء على تكليف من أهل ارجوس للاشادة بمهرجان مدينتهم الذي سلفت الاشارة اليه . ولا يستبعد كذلك ان يكون هذا النشيد قد نظم في الوقت الذي كان فيه كاليماخوس مضطراً الى قبول مثل هذه المهام لقاء أجر ، أي حين كان لا يزال مدرساً فقيراً محدود الموارد بل خالي الوفاض ، يحيي تلك الحياة الوضيعة التي يشير اليها في ابيجراماته الثامنة والعشرين والرابعة والثلاثين والسابعة والأربعين[2] .

والنشيد السادس « الى ديمتر »[3] يدور حول المهرجان الذي كان يقام لهذه الإلهة في مدن اغريقية كثيرة على غرار المهرجان الذي كان الأثينيون يقيمونه لها ، فقد كانت هذه الإلهة من أعظم معبودات الاغريق وتعتبر راعية الزراعة وكل ثمار الأرض . ووفقاً لأساطير الاغريق كانت ديمتر

---

١ انظر Mair ص ٣٠ .

٢ Mair, pp. 156-7, 160-1 168-9.

٣ Mair, pp. 31-2, 124-135.

أخت زيوس ومع ذلك فإنها أنجبت منه ابنتها برسفوني (Persephone). ودون علم ديمتر وعد زيوس اعطاء يد الفتاة الى ايدونيوس (هادس) إلـه العالم الآخر . وبينما كانت برسفوني تقطف الأزهار ذات يوم في أحد وديان آسيا ، انشقت الأرض وخطفها ايدونيوس . واذ أخذت ديمتر تجوب أنحاء الدنيا باحثة عن ابنتها ، علمت بما حدث لها ، فاستشاطت غضباً وهجرت جبل اوليمب لتعيش بين الناس متنقلة من مكان الى آخر حتى وصلت الى اليوسيس في اتيكا على مقربة يسيرة من اثينا . ولما كانت ديمتر قد ظلت غاضبة ومنعت الأرض من أن تؤتي ثمارها ، فانه لم يسع زيوس الا ان يبعث هرمس لاعادة برسفوني الى أمها ، ولكن ايدونيوس لم يسمح بذلك قبل اغرائها بأكل جزء من رمانة ليرغمها على أن تقضي الثلث من كل عام معه وباقي العام مع أمها.ومعنى الأسطورة هو ان اختفاء برسفوني في باطن الأرض يمثل بذرة القمح وهي التي تبقى مختفية في باطن الأرض جزءاً من العام ، وان عودة برسفوني الى أمها يمثل نمو القمح وخروجه من باطن الأرض ليكون غذاء للانسان والحيوان . وسر احتفاء الاغريق بوجه عام ، والأثينيين بوجه خاص ، بعيد ديمتر هو انهم كانوا يعتبرونه تخليداً لذكرى قيام الحياة المتمدنة، وهي التي يعزى الفضل في قيامها الى ديمتر على أساس ان الزراعة هي قوام الحياة المدنية . وكان الأثينيون يذهبون الى حد اعتبار اتيكا مهد الزراعة !

ويدور الحديث في هذا النشيد أيضاً على لسان كاهنة ديمتر ، فهي تنبه الفتيات الى كيفية تحية الإلهة (أي تمثالها) عند ظهورها (ll. 1-10) ، ولا تتحدث الا حديثاً مقسطاً عن طوافها بحثاً عن برسفوني (ll. 11-17) مفضلة الافاضة عن نعماء الإلهة على البشر (ll. 18-30) وبخاصة عن العقاب الذي أنزلته باروسيخثون (Erysichthon) جزاء اجترائه هو وعصابة مسلحة من أتباعه على قطع أشجار غيضتها المقدسة وسخريته منها عندما ظهرت مستخفية في شكل كاهنة ناصحة بالكف عن ذلك الاثم خشية

اغضاب ديمتر (ll. 31-133) . ويختتم النشيد بتحية الإلهة وبالالتماس منها ان تفيء على الناس بالوفاق والرفاهية والرخاء (ll. 134-138). .

ولما كان البطالمة قد عنوا باظهار اجلالهم واحترامهم للديانة الاغريقية كسباً لود الاغريق وولائهم ، فإنه قد كان من بين الوسائل التي توسلوا بها لتحقيق هذا الهدف اقامة حفلات دينية على نمط الحفلات الأوليمبية ومختلف الحفلات الأثينية. ويقول الشارح القديم في تعليقه على البيت الأول من هذا النشيد ان حفل ديمتر قد كان من بين ما أنشأه بطلميوس الثاني محاكاة للعادات الأثينية . ويتبين من البرديات ان هذا الحفل كان يقام في الاسكندرية [1] وفي الفيوم [2] في خلال عهد هذا الملك . لكنه يجب ان يؤخذ في الاعتبار أيضاً : **اولاً** ، ان سويداس يحدثنا بأن عبادة ديمتر أنشئت في قورينى منذ تأسيسها [3] . **وثانياً** ، ان بطلميوس الثانـــي أنشأ حفلات دينية أخرى مثل حفل ادونيس [4] وحفل ارسينوي [5] ، بيد ان كاليماخوس لم ينظم أي نشيد عن مهرجانات هذه الأعياد الدينيـــة ، ولم يكن قطعاً سبب ذلك افتقار هذه المهرجانات الى الروعة والرواء وحسبنا دليلاً على ذلك ما قاله ثيوقريتوس في وصف مهرجان ادونيس . **وثالثاً** ، ان نشيد ديمتر شأنه شأن النشيد الخامس منظوم باللهجة الدورية ولكنها ليست اللهجة الخاصة بأية مدينة دورية بعينها . ولا يفوتنا الاشارة هنـــا الى انه كانت توجد عناصر دورية كثيرة بين سكان قورينى ، وانـــه كشف في هذه المدينة عن نقوش كثيرة باللهجة الدورية .

أيكون من الاسراف في الرأي اذن القول بأن وقوع اختيار كاليماخوس

---

١ P. Cairo-Zen., 50928 (B. C. 258).

٢ P. Cairo-Zen., 59027 (B. C. 258 ?).

٣ Suidas, S.V. Telesphores.

٤ Theocr., Idyll, XV.

٥ P. Cairo-Zem., 59096 (B. C. 259); 59185 (B. C. 255); 59217 (B. C. 254).

على مهرجان ديمتر دون غيره من المهرجانات الدينية التي كانت تقام في الاسكندرية يرجع الى سبب مزدوج هو الاشادة بعمل من أعمال عاهل وطنه الثاني وفي الوقت نفسه اشباع حنينه الى وطنه الأول ؟ ولما كان كاليماخوس قد نظم هذا النشيد باللهجة الدورية وهي التي كان يألفها في وطنه الأول ، وكان عند أول مجيئه الى الاسكندرية يعيش في ضاحية اليوسيس حيث كان يقوم بالتدريس وحيث كان يوجد معبد ديمتر ، فإنه لا يبعد ان تاريخ هذا النشيد يرجع الى تلك الفترة الباكرة من حياته في الاسكندرية [1]، وهي التي رجحنا انه يعود اليها أيضاً نشيده الخامس المنظوم كذلك باللهجة الدورية .

اليامبيات :

وهي مجموعة من القصائد أحيت طريقة الشعراء اليامبيين القدامى في نظم الشعر مع ادخال الكثير من التعديل القائم على الأصالة في معالجة الموضوعات . وهذه القصائد ، وعددها ثلاث عشرة ، تتناول موضوعات مختلفة ويتعذر تحديد تواريخ بعضها على الأقل، مما أفضى الى جدل عنيف بين الباحثين حول ذلك [2] . ولما كانت اليامبيات الأولى والرابعة والثالثة عشرة تتصل بموضوع النزاع الأدبي المشهور ، فإننا سنتناول الكلام عنها في معرض الكلام عن هذا الموضوع فيما بعد . واليامبيات الثانية والثالثة والخامسة [3] تنقد في سخرية لاذعة سلوك المجتمع المعاصر ، ذلك ان اليامبية الثانية تندد بميل الناس الى اللغو، واليامبية الثالثة تأخذ عليهم شدة احتفالهم

---

١ Cahen, p. 91.

٢ Dawson, Yale Class. Studies, XI, 1950, pp. 143 ff.; Pfeiffer, II, p. XXXVII; Webster, pp. 98 ff.

٣ Trypanis, pp. 112-5; 114-7; 146-151.

بالماديات دون المعنويات الى حد انهم يدعون الشعراء يتضورون جوعاً ، ويعتبر الشاعر زمنه أسوأ من الأزمنة الغابرة ويتمنى لو انه عاش في عصر سابق . واليامبية الخامسة تهاجم مدرساً يعبث بتلاميذه وينصحه بتجنب ذلك لئلا يضبط متلبساً بجرمه . واذا كانت اليامبية السادسة [1] تصف التمثال العظيم الذي صنعه المثال المشهور فيدياس للإلـه زيوس في اوليمبيا ، فإن اليامبيات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة والحادية عشرة [2] من نمط ديوان «الأسباب» ، أي أنها تفسر أسباب او أصول مسائل مختلفة نأتي على ذكرها لأنها محدودة العدد وتعطينا فكرة عما اتبعه كاليماخوس في الجانب الأكبر من ذلك الديوان. فاليامبية السابعة تفسر سبب عبادة هرمس برفرايوس (Perphraios) في مدينة اينوس (Aenus) التراقية وتشرح منشأ اللقب برفوايرس . واليامبية الثامنة تشرح منشأ سباق يسمى سباق الأواني الممتلئة ماء (Hydrophoria) وهو الذي كان يقام في ايجينة (Aegina) . واليامبية التاسعة تتناول منشأ نوع بعينه من تماثيل هرمس (Ithyphallic) . واليامبية العاشرة تفسر منشأ تقديم خنزير بري قرباناً لافروديتي كاستنيا (Castnia) في اسبندوس من أعمال بامفيليا . واليامبية الحادية عشرة اذ تصحح القول المأثور عند الاغريق وهو « املاك كوناروس (Connarus) نهب للجميع » باستبدال اسم كونيداس (Connidas) باسم كوناروس تشرح منشأ هذا القول . أما اليامبية الثانية عشرة [3] فانها كانت هدية الشاعر الى صديقه ليون بمناسبة الحفل الذي أقامه هذا الصديق في اليوم السابع لمولد طفلة رزق بها . وفي هذه اليامبية يقول كاليماخوس ان الانشودة التي تغنى بها ابولو فاقت كل الهدايا التي قدمها الآلهة الآخرون الى هيبي (Hebe) عندما وضعت. ويعتقد

---

١ Trypanis, pp. 130-3.

٢ Trypanis, pp. 132-141.

٣ Trypanis, pp. 140-7.

الباحثـــون ان يامبيات كاليماخوس كان لها أثر كبير في الشعر الروماني الساخر[1] .

الأبيجرامات :

وهي مجموعة قصائد قصيرة يبلغ عدد ما وصل الينا منها أربعاً وستين. وكانت الابيجرامات تنظم أصلاً لتنقش على نصب جنازي أو على اهداء مقدم الى أحد الآلهة . وقد بلغ كاليماخوس بالابيجرامات مستوى لم تبلغه من قبل وأصبحت طرازاً جديداً من الأدب الرفيع . ولا جـــدال في ان الابيجرامات الأدبية – وهي التي لم يكن الغرض من نظمها النقش على نصب او اهداء – قد كانت معروفة من قبل كاليماخوس ، إلا أنه احتل بين مؤلفي هذا اللون من الابيجرامات مكان الصدارة دون منازع وهو الذي كان يحتله سيمونيدس من كيوس (Ceos) بين ناظمي الابيجرامات من الطراز القديم الأصلي[2].وليس معنى ذلك ان كاليماخوس لم ينظم ابيجرامات لنقشها على الأنصبة والاهداءات ، فقد وصلت الينا ابيجرامات من نظمه لا يمكن تفسير بعضها إلا على انها كانت للنقش على نصب تذكاري والبعض الآخر للنقش على اهداء. ومن أمثلة النوع الأول الابيجراما الحادية عشرة[3] ونصها : « هنا يغفو ساون الاكنثي ابن ديكون في نومه القدسي. لا تقل ان الأفاضل لا يموتون » . وكذلك الابيجراما الحادية والعشرون[4] ونصها: « هنا أودع الأب صبيه ابن الاثني عشر ربيعاً . هنا أودع فيليب أمله الكبير : نيكوتلس » . ونذكر من النوع الثاني على سبيل المثال الابيجراما

---

١ Barber, E. A., in Oxf. Class. Dict., s.v. Callimachus.
٢ Rose, p. 322.
٣ Mair, pp. 144-5.
٤ Mair, pp. 150-1.

الخامسة والثلاثين[1] وهذا هو نصها : « من أجلك ، يا أرتميس ، اقامت فيلراتيس هذا التمثال . ارجو ان تتقبليه يا ربتي،وان تكلأيها برعايتك».

بيد انه اذا كان فحوى الكثير من ابيجرامات كاليماخوس يوحي بأنها اشعار جنازية ، فان مضمونها الساخر يدل دلالة قاطعة على انها لم تنظم على الاطلاق لنقشها على نصب جنازي . ومثل ذلك الابيجراما الثالثة[2] ونصها : « كل ما حول قبري أشواك ومخازق وسوف تدمى قدميك اذا اقتربت منه . انا تيمون مبغض البشر ، اسكن هنا . اذهب الى حال سبيلك ، والعنني كما تشاء ، ولكن هيا اذهب » . ومثل الابيجراما الخامسة[3] ونصها : « تيمون ، انك وقد قضيت نحبك ، خبرني أيهما أبغض اليك : الظلام أم النور ؟ الظلام ، فما أكثر من أمثالك في العالم السفلي » . ومثل الابيجراما الخامسة عشرة[4] ، وهي تبدو كأنها حديث بين الشاعر والنصب الجنازي والمتوفي ، وهذا هو نصها : « ايرقد خاريداس تحتك ؟» « نعم ، اذا كنت تقصد اريماس القوريني » « وماذا يا خاريداس عن العالم السفلي ؟» « ظلام حالك » . « وهذه الدنيا ؟ » « اكذوبة » « وبلوتو ؟ » « اسطورة » « ياللنكبة ! » « هذه هي الحقيقة المرة ، أما إذا أردت كلاماً معسولاً ، فالثور الضخم لا يزيد ثمنه على قطعة من العملة البرونزية » .

ومن الواضح ان تيمون ، موضوع الابيجرامتين الثالثة والخامسة ليس الا تيمون الأثيني وهو الذي كان يعيش في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد ، وازاء ما لقيه من جحود اصدقائه ونكرانهم خدماته اعتزل الناس وأوصد بابه دونهم باستثناء الكبيادس . وعندما سئل عن سبب هذا

---

١ Mair, pp. 160-1.

٢ Mair, pp. 140-1.

٣ Mair, pp. 140-1.

٤ Mair, pp. 146-9.

الاستثناء ، أجاب بأنه يحب هذا الشاب لأنه يتوسم فيه القدرة على إلحاق ضرر بليغ بأثينا[1] . ومن الواضح كذلك انـــه كما سخر كاليماخوس في يامبياته من أحوال مجتمعه قد سخر في الابيجراما الخامسة عشرة من معتقداتهم ولا سيما اعتقادهم بأن الاسعار زهيدة في العالم الآخر الى حد انها كانت مضرباً للأمثال ، وهو ما يشير اليه كاليماخوس في مطلع يامبيته الأولى[2] .

وهكذا يبـــدو ان كاليماخوس اتخذ من الابيجرامات وسيلة للاعراب عما كان يدور في رأسه من خواطر أو يجيش في صدره مـن خلجات . ويتأيد ذلك بأمثلة أخرى كثيرة ، ففي ابيجرامته الثانية[3] ينعي صديقه الشاعر هراكليتوس الهليكرناسي والليالي السعيدة التي قضياها معـــاً وهما يتسامران حتى طلوع الشمس . وفي ابيجرامته التاسعة[4] يشيد بناظم ابيجرامات معروف يدعى ثيايتيتوس[5] (Theatetus) لعله كان قورينيي الأصل[6] . وفي ابيجرامته السابعة[7] يتندر في رفق على القصيدة المطولة « الاستيلاء عـــلى أويخاليا » للشاعر كريوفيلوس[8] . وفي ابيجرامتـــه التاسعة والعشرين[9] يشيد بالشاعر القديم هسيودس ويتهم الشاعر المعاصر اراتوس بمحاكاة الشاعر القـــديم . وفي ابيجرامته الثلاثين[10] يفصح عن اتجاهاته الأدبية . وفي البيت الوحيـد المتبقي من احدى ابيجراماته الأدبية[11] هجوم على ملحمة لودي **(Lyde)**

---

١ Plutar., Anton., 70; Cf. Aristoph., Birds, 1549, Lysistrata, 805 ff.; Lucian., Timon., Diog., Laert., IX, 112.

٢ Trypanis, pp. 106-7, l. 2.

٣ Mair, pp. 138-9.

٤ Mair pp. 144-5.

٥ Diog. Laert., IV, 25, VIII, 48; A.P. VII, 444, 497, 727.

٦ Cf. A.P. VII, 49.

٧ Mair, pp. 142-3.

٨ Cf. Strabo, XIV, 638.

٩ Mair, pp. 156-7.

١٠ Mair, pp. 156-7

١١ Tryphanis, p. 246, fr. 396.

من نظم الشاعر انتيماخوس . ولنا عودة الى الابيجرامات الثلاث الأخيرة في معرض الكلام عن اتجاهات كاليماخوس الأدبية والنزاع الأدبي المشهور. وفي الابيجراما العاشرة[1] ينعي كاليماخوس عدم توفيقه في تأليف المسرحيات.

ولا تترك عدة من ابيجرامات كاليماخوس مجالاً للشك في غرامه بالغلمان، فهو يتغنى تارة بغلام يدعى ديوكلس[2] ، وتارة بغلام يدعى ارخينوس[3] وتارة بغلام يدعى منكسيوس[4]، وتارة يصف وجنات ثيوقريتوس ويتساءل أهو يحبه أم يكرهه[5] . ويرى بعض الباحثين ان ان هذا ليس الا اطراء للشاعر المعاصر المعروف بهذا الاسم . ولكنه لا جدال في ان الابيجراما تخلو من أي اشارة الى جمال الشعر أو طلاوته ، اللهم الا اذا كان غزل كاليماخوس في وجنات ثيوقريتوس يمكن أن ينم عن اعجاب شاعرنا بقريض ثيوقريتوس . ونجد كاليماخوس مرة يبكي غلاماً مات ويتمنى لو انه لم يعرفه[6] ، ومرة أخرى يبكي حبه الضائع للغلمان الذين فقدهم اما بسبب الموت أو بسبب الهجر ، ومرة ثالثة يصف أسلوبه في الحب فهو لا ينشد المستسلم وانما الشارد الجامح[8] ، ومرة رابعة يعزي نفسه بأن الشعر يخفف من وطأة الجوى ، والفقر يشفي لواعج الهوى[9] .

ومن المعروف ان الغرام بالغلمان كان أمراً شائعاً بين الاغريق والرومان، وحسبنا ان نذكر ان ابولونيوس وزير مالية بطلميوس الثاني وأوسع رجال

---

١ Mair, pp. 144-5.

٢ Mair, Ep. 31, pp. 158-9.

٣ Mair, Ep. 43, pp. 164-7

٤ Mair, Ep. 45, pp. 166-7.

٥ Mair, Ep. 53, pp. 174-5.

٦ Mair, Ep. 32, pp. 158-9.

٧ Mair, Ep. 42, pp. 164-5.

٨ Mair, Ep. 33, pp. 158-9.

٩ Mair, Ep. 47, pp. 168-9.

الدولة نفوذاً في عصر هذا الملك أنشأ بجوار قصره في الاسكندرية مدرسة (بالايسترا) تتصل بالقصر . وكان لا يلتحق بهذه المدرسة الا فتيان يختارون بعناية فائقة ، ولاكت الألسن علاقات ابولونيوس بهؤلاء الفتيان، ولكنه قيل انه كان يختارهم لما يتوسمه فيهم من النبوغ لتعليمهم الألعاب الرياضية والأداب والموسيقى من أجل الفوز في المباريات العامة [1] .

ولا جدال في ان شاعراً من طراز كاليماخوس استطاع الاعراب عن كل هذه العواطف الجياشة بصورة ناطقة رائعة داخل اطار ضيق الأبعاد كاطار الابيجرامات ، كان في وسعه نظم قصائد عاطفية مطولة على النحو الذي قدر فيما بعد لشاعر مثل بروبرتيوس أن يفعله [2] .

الأشعار الغنائية :

ونعرف لكاليماخوس أربع قصائد من النوع المسمى الأشعار الغنائية . ولا نعرف عنوان تلك القصيدة التي لم يصل الينا منها الا بيت واحد ، بيد ان أحد الباحثين المحدثين اقترح تسميتها « الى الغلمان الملاح » ، وذلك استناداً الى ما يحدثنا به الموجز القديم من ان الشاعر يخاطب الغلمان الجمال محذراً اياهم من المستقبل ، فقد كانت لمنوس في الزمن الغابر جزيرة سعيدة ثم عمها الشقاء عندما انقضت النساء على الرجال وقتلتهم . ويبدو من الموجز ان الشاعر يشير هنا الى أسطورة مشهورة فحواها ان نساء لمنوس قتلن كل رجال الجزيرة لأنهم اتخذوا لأنفسهم حظيات من تراقيا (لكن لعل الشاعر أن يكون قد استبدل في قصيدته الغلمان بالنساء) بعد أن صبت افروديتي جام غضبها على نساء الجزيرة فجعلتهن كريهات

---

١ Edgar, Zen. Pap. in Michigan, pp. 49-50.

٢ Rose, p. 323.

الرائحة لأنهن أهملن أقامة شعائر طقوسها ، غير أنه عندما وفد بحارة السفينة « ارجو » الى الجزيرة خالطوا نساءها وبذلك أمكن اعادة تعمير الجزيرة . ولا يعرف اذا كان قصد الشاعر هنا هو حث الغلمان على الاستمتاع بحاضرهم أقصى الاستمتاع لأن الدنيا قلب لا تدوم على حال واحدة ، أم هو تحذيرهم مما قد يصيبهم من النساء اللائي يهملهن بعولتهن من أجلهم [1] .

وعنوان القصيدة الثانية « بانوخيس » (Pannychis) ومعناه حفل الليل أو سهر الليالي ، ولم يصل الينا منها الا بعض ابيات قليلة ، ولكن الموجز القديم يقول إنها اغنية شراب على شرف الالهين التوأمين ديوسكوروي (Dioscouroi) ، يستحث فيها الشاعر رفاقه في الشراب أن يظلوا سهارى [2] .

والقصيدة الثالثة بعنوان « تأليه ارسينوى » (Ektheosis Arsinoes) . وارسينوي المقصودة هنا هي ارسينوي الثانية أخت وزوجة بطلميوس الثاني ، وهي التي توفيت في التاسع من شهر يوليه عام ٢٧٠ ق. م. وتقديراً لمكانتها والدور الكبير الذي قامت به في سياسة مصر الخارجية ، اغدقت عليها مظاهر تشريف مختلفة ، فقد أنشئت لها عبادة اغريقية رسمية باسم الالهة فيلادلفوس . وعندما لاحظ الناس قديماً أن بطلميوس الثاني كان الملك الوحيد من ملوك البطالمة الذي لم يكن له لقب الهي يميزه عن غيره ، خلعوا عليه منذ القرن الثاني قبل الميلاد لقب اخته الالهي « فيلادلفوس » [3] ، مما كان سبب ما يعتقده بعض المحدثين ان بطلميوس الثاني لم يعبد الا مقروناً مع اخته عقب وفاتها ، بيد اننا رأينا من القرائن ما يثبت انهما عبدا معاً قبل وفاة ارسينوي باسم « الالهين الأخوين » .

ومما يجدر بالملاحظة ان اسم كاهنة ارسينوي ظهر في تأريخ الوثائق

---

١ Trypanis, pp. 159-160.

٢ Trypanis, pp. 160-163.

٣ ابراهيم نصحي ، الجزء الثاني ، ص ٨٢ .

مع اسم كاهن الاسكندر والالهين الاخوين منذ يناير عام ٢٦٦ ق. م.[١] وقد اقيم لأرسينوي فيلادلفوس معبد خاص في الاسكندرية شبهت فيه بالالهة الاغريقية افروديتي ، فعرفت ايضاً باسم ارسينوي افروديتي[٢] . ويحتمل انه كان يوجد لأرسينوي عدد من الهياكل في الاسكندرية ، ويذكر استرابون[٣] وكاليماخوس[٤] معبداً لأرسينوي افروديتي على رأس زفوريون بالقرب من ابي قير . وقد وجد على لوحة كانت جزءاً من معبد في منطقة طيبة نقش[٥] نصه « من ساتوروس الى ارسينوي فيلادلفوس » . ولا بد من ان عبادة ارسينوس كانت شائعة بين الاغريق في محافظة الفيوم بوجه خاص ، اذ ان هذه المحافظة سميت في اواخر عهد بطلميوس الثاني باسم محافظة ارسينوي[٦] .

والى جانب هذه العبادة الاغريقية التي وجهت الى ارسينوي ، كانت هذه الملكة تعبد ايضاً عبادة مصرية بوصفها شريكة للآلهة الاخرى في المعابد المصرية[٧] وخصص لاقامة شعائر هذه العبادة دخل ضريبة كبيرة هي ضريبة الابوموير ا[٨] . ومن المرجح ان يكون قد خصص لسد نفقات عبادة ارسينوى عبادة اغريقية في خارج مصر دخل ضياع واسعة حيثما كانت تقام هذه العبادة[٩] .

ونقرأ في الموجز القديم ان كاليماخوس يقول في هذه القصيدة انه عندما

---

١ P. Hibeh, I, p. 369; Dem. P. Louvre, 2424.

٢ Schol. ad Theocr., Idyll, XVII, 121.

٣ Strab., XVII, 16.

٤ Aetia, fr. 110.

٥ Strack, Dynastie d. Ptol., No. 25.

٦ P. Cairo-Zen., 59041.

٧ Otto, Priester U. Tempel, I, p. 349; II, 334.

٨ ابراهيم نصحي ، الجزء الثاني ص ٥٣ ـ ٥٩ .

٩ Perdrizet, Rev. études anc., VI, 1904, p. 156.

اختطف الآلهان التوأمان ارسينوى أقيم لها مذبح وسياج مقدس بالقرب من أرصفة الميناء الكبير ، وان الشاعر يستلهم ابولو الوحي لأنه بدون ذلك يعجز عن نظم قصيدته . ولما كانت البردية مهلهلة ، فانه يصعب الجزم بالكيفية التي مضت عليها بقية القصيدة ، لكنه يفهم من الأبيات الباقية منها ابتداء من البيت الأربعين ان فيلوتيرا – وكانت الاخت الصغرى لارسينوي وتوفيت قبلها ورفعت الى مصاف الآلهة – ترجو خاريس – زوجة الاله هفايستوس – ان تهرع الى قمة آثوس لتعرف مصدر ذلك الدخان الكثيف الذي ملأ جو البحر الايجي . واذ تستجيب خاريس الى الرجاء ، تعود لتبلغ فيلوتيرا ان الدخان آت من مكان حرق جثة اختها ارسينوي عقب وفاتها منذ قليل وان مدن مصر جميعاً تبكيها . ولا نعرف اذا كانت القصيدة تمضي فتصف مراسم تأليه ارسينوي أم انها تنتهي عند الكلام عن اقامة المذبح والسياج المقدس [١] .

والقصيدة الرابعة بعنوان برانخوس (Branchus) ، وهي تتغنى بأبولو وأصل برانخوس العريق وهو الذي تتصل ارومته بأبولو ، وتصف كيف ان ابولو احب قريبه ومنحه القدرة على التنبؤ ، فأقام في ديدوما (Didyma) بالقرب من ميليتوس (ملطية) معبداً لأبولو بطقوس مماثلة لطقوس معبد وحي ابولو في دلفي . والاشارة هنا الى معبد وحي ديدوما وهو الذي اكتسب شهرة كبيرة جعلته من أهم معابد الوحي في العالم القديم ، فكان الناس يتهافتون على استشارته وكان من بينهم كرويسوس وبعض ملوك مصر [٢] .

الملاحم القصيرة :

وملاحم كاليماخوس القصيرة وفيرة العدد بحيث لا يتسع المجال لتناولها

---

١ Trypanis, pp. 162-9.

٢ Trypanis, pp. 168-173.

جميعاً ، ولذلك نقصر الكلام عن اربع منها لما تتضمنه من اشارات الى بعض احداث وشخصيات تاريخية معروفة ثم نعرض لأشهرها جميعاً وهي ملحمة هكلي (Hecale) .

ولم يصل الينا الموجز القديم للملاحم الأربع ذات الأهمية التاريخية ، بل انه لم يصل الينا من احدى هذه الملاحم الا بيت واحد هـــذه هي ترجمته : « ابدأ ، ايها الغريب ، بالتغني بزواج ارسينوي » . والباحثون المحدثون يدعون هذه الملحمة ملحمة « زواج ارسينوي » [1] . ولا جدال في ان ارسينوي هذه ليست الا ارسينوي الثانية المشهورة اخت بطلميوس الثاني ، ولا في ان الزواج الذي يتغنى به الشاعر ليس بطبيعة الحال زواجها الأول من ليسيماخوس العجوز حوالى عام ٣٠٠ ق. م. ولا زواجها الثاني من اخيها غير الشقيق بطلميوس كراونوس في عام ٢٨٠ ، وانما زواجها الثالث من شقيقها بطلميوس الثاني حوالى عام ٢٧٦ ، لتحقق لنفسها آمالها في الحكم والسيطرة بعد ضياع آمالها في حكم تراقيا ومقدونيا وعودتها الى الاسكندرية حيث دبرت اقصاء زوجة اخيها الاولى بتهمة التآمر ضد الملك . ولم تكن هذه هي المرة الاولى التي انزلقت فيها ارسينوي الثانية الى الشر في سبيل الفوز بالسلطان ، ذلك انها عندما كانت متزوجة من ليسيماخوس وادركت أن الابن الشاب لهذا الملك من زواج سابق كان الوريث الطبعي لأبيه ، نجحت في ايغار صدر الاب ضد ابنه الى حد أنه أعدمه ، وذلك لتضمن ولاية العرش لابنها والسلطة لنفسها . وقد كان زواج الأخ من اخته الشقيقة يعتبر فسقاً في نظر الاغريق ، وان كان الاله زيوس والإلهة هيرا لم يتقيدا بهذا العرف البشري . ولما كان لم يفت ثيوقريتوس ان يمجد هذا « الزواج المقدس » الجديد ، فان ذلك لم يفت كاليماخوس ايضاً ، ولا سيما انه كان قد حظي برعاية البلاط البطلمي منذ عهد قريب . ولا

---

١ Trypanis, pp. 242-3.

يبعد ان يكون كاليماخوس قد نظم ملحمته رداً على الشاعر الهجاء سوتادس الذي اجترأ على التنديد بهذا الزواج ولقى حتفه وفقاً لرواية اثينايوس [1] أو اودع غياهب السجن لبضع سنين وفقاً لرواية بلوتارخ [2] .

ويبدو من السطور القليلة التي وصلت الينا من ملحمة بعنوان « غالتيا » (Galatea) . [3] وورد فيها ذكر حورية البحر غالتيا وبرنوس (Brennus) زعيم جحافل الغال التي زحفت على مقدونيا وبلاد الاغريق الوسطى في عام ٢٧٨/٢٧٩ ق. م. أن كاليماخوس عالج في هذه الملحمة اسطورة حورية البحر التي هام بحبها كوكلوبس وانجب منها الغال الذين غزا سلالتهم مقدونيا ولقي بطلميوس كراونوس مصرعه في اثناء قتالهم ، ثم زحفوا على بلاد الأغريق واوسعوها نهباً وتدميراً الى أن هزمهم الايتوليون في العام نفسه وردوهم على اعقابهم ، وهي الأحداث التي يشير اليها كاليماخوس في نشيده الرابع (ll. 171 ff.) . ويميل الباحثون المحدثون الى اعطاء هذه الملحمة تاريخاً قريباً من هذه الاحداث اي حوالى عام ٢٧٨/٢٧٩ ق. م. ولكن لما كان كاليماخوس لم يكتف في نشيده الرابع بالاشارة الى زحف الغال على بلاد الأغريق بل اشار كذلك الى ثورة مرتزقة الغـــال على بطلميوس الثاني وما لاقوه من عقاب صارم جزاء ذلك على نحو ما مر بنا ، فاننا لا نستبعد ان يكون شاعرنا قد فعل الشيء نفسه مع قدر اكبر من التفصيل في هذه الملحمة وهي التي يتضح بجلاء انها تتناول قصة الغال منذ نشأتهم الاسطورية . وازاء ذلك نرجح ان يكون تاريخ نظم هذه الملحمة اقرب الى عام ٢٧١/٢٧٢ منه الى عام ٢٧٨/٢٧٩ .

والملحمة التي نظمها كاليماخـــوس بعنوان « نصر سوسيبيوس » [4]

---

١ Ath., XIV, 621 a.

٢ Plut., De Liber. educ., 14; Quaest. Symp., IX, 1.

٣ Trypanis, pp. 228-9.

٤ Trypanis, pp. 232-41.

(Sosibiou Nike) يتبين من الأبيات الباقية منها انها تشيد بأربعة انتصارات احرزها شخص يدعى سوسيبيوس في مباريات عامة . وكان الانتصار الاول فوزه بسباق الاولاد المزدوج (Diaulos paidon) في حفل عام لعله كان حفل البطولمايا (Ptolemaea) على نحو ما يبدو من البيت الأول . ومما يجدر بالذكر هنا ان هذا الحفل أنشأه بطلميوس الثاني اجلالاً لوالده بعد وفاته وتأليهه ويرجح انه اقيم لأول مرة في عام ٢٧٩ بمناسبة الذكرى الرابعة لوفاة بطلميوس الأول. وكان هذا الحفل يقام كل اربع سنوات على غرار حفلات الالعاب الاوليمبية ويشارك فيه المتبارون من كل انحـــاء العالم الاغريقي [١] . وكان الانتصار الثاني فوز سوسيبيوس في الحفلات الأثينية العامة بقصب السبق في مباريات المصارعة للرجال ولما يبلغ بعد العشرين من عمره (ll. 37 ff.) . وحين كان سوسيبيوس رجلاً واسع الثراء يحب الناس ولا ينسى الفقير (ll. 54 ff.) احرز انتصاريه الثالث والرابع بفوزه في سباق العربات في حفلين من أشهر الحفلات الاغريقية وهما حفل مباريات برزخ كورنثة (Isthmia) وحفل المباريات النيمية (Nemea) . ويقول كاليماخوس في ملحمته إنه لمن حق الاسكندريين وسكان ضفاف الكينوبس (Cinyps = وادي كعام بطرابلس) ان يحيطوا علماً باحراز سوسيبيوس هذا النصر المزدوج في سباق العربات ، وانه لما كان سوسيبيوس اول اغريقي من مصر احرز هذا الفوز المزدوج فان النيل ليزهى فخراً واعجـــاباً (ll. 24 ff.) . ويختتم النشيد بذكر القرابين التي قدمها سوسيبيوس للآلهة في معابد مصر وبلاد الأغريق (ll. 44 ff.) .

ومن المرجح ان سوسيبيوس الذي احرز هذه الانتصارات لم يكن سوى ذلك الرجل الذي كان وزير مالية بطلميوس الثالث منذ عام ٢٤١ وشغل

---

١ انظر ابراهيم نصحي ، الجزء الثاني ، ص ١٣١ ـ ١٣٣ .

في عام ٢٣٥/٢٣٤ [١] منصباً رفيعاً جداً [٢] هو منصب كاهن عبادة الاسكندر والبطالمة ، ثم أصبح حاكم الدولة الحقيقي في عهد بطلميوس الرابع [٣] (٢٢١ – ٢٠٣ ق. م.) وبعد ذلك وصياً على بطلميوس الخامس لفترة قصيرة لأنه توفى حوالى عام ٢٠٢ [٤] . ويصف بوليبيوس هذا الرجل بأنه كان شيطاناً رجيماً باشر السلطة امداً طويلاً وعاث في الدولة فساداً كثيراً [٥] . واذا صح أن سوسيبيوس موضوع الملحمة هو نفسه ذلك الرجل المشهور الذي توفى حوالى عام ٢٠٢ ، فلا يبعد أن يكون قد فاز بسباق للأولاد في عام ٢٧٩ وأصبح ذا ثروة عريضة ومكانة مرموقة في اربعينات القرن الثالث عندما احرز فوزه المزدوج . وازاء عدم الاشارة في الملحمة الى اي منصب عام كان يشغله ، فلا بد من ان تاريخ نظمها سابق لعام ٢٤١ عندما اصبح وزيراً للمالية . ولا جدال في ان برقة ادمجت في دولة البطالمة منذ زواج اميرتها برينيقي من بطلميوس الثالث وأصبحت تحت حكم العاهل البطلمي مباشرة ، لكننا لا نستطيع الذهاب الى ما يذهب اليه بعض الباحثين ونعتبر وادي كعام الحد الغربي لدولة البطالمة [٦] ، ذلك أنه لا يوجد أي دليل على أن سلطان البطالمة امتد غرباً الى ما وراء الحدود التي سبق وضعها بين منطقة نفوذ كل من قوريني وقرطنجة عند قوس الأخوين .

ولم يصل الينا أي بيت من ابيات ملحمة كالياخوس بعنوان ايبيس (Ibis) وهي التي يقول سويداس [٧] بأن الشاعر الروماني اوفيديوس اتخذ منها نموذجاً

---

١ Rev. Eg. I, p. 134.

٢ انظر ابراهيم نصحي ، الجزء الثاني ، ص ٧٥ – ٧٦ .

٣ ابراهيم نصحي ، الجزء الاول ، ص ١٣٧ .

٤ المرجع السابق ص ١٥٣ .

٥ Polyb., XV, 25.

٦ Trypanis, p. 233.

٧ Suidas, s.v., Kallimachos.

لقصيدته بالعنوان ذاته [1] ، وبأن كاليماخوس اغرق فيها في الغموض وفي هجاء خصم من خصومه دعاه ايبيس ، وهو اسم طائر مصري مدمر ذي عادات قذرة . ولما كان القدامى والمحدثون يتفقون على ان هذه القصيدة نظمت في اثناء احتدام النزاع الأدبي المشهور [2] — ومن ثم كانت أهميتها — فاننا سنعود اليها فيما بعد .

وملحمة هلكي هي أشهر ملاحم كاليماخوس على الاطلاق . وتصف هذه الملحمة انتصار البطل الاسطوري ثسيوس (Theseus) على ثور مارثون ، بيد انه تبرز في خلفية القصة شخصية سيدة عجوز عريقة الأصل لكن الزمن انحدر بها . وهذه السيدة ، هكلى (Hecale) ، استضافت ثسيوس في كوخها حين كان في طريقه الى منازلة الثور . ولعل المصدر الرئيسي الذي استمد منه كاليماخوس قصته كان سجلاً لأحداث اتيكا ، ربما كان ذلك السجل الذي كتبه فيلوخوروس الأثيني حوالى اوائل القرن الثالث قبل الميلاد واعتمد عليه بلوتارخ ايضاً في رواية القصة نفسها [3] ، حيث تحدثنا بأنه عندما اراد ثسيوس ان يشغل نفسه بعمل جاد وفي الوقت نفسه يكسب رضاء الناس صمم على منازلة ثور مارثون ، وكان يعيث فساداً في اتيكا وينشر الفزع بين اهالي مدنها الأربع . وعندما تغلب ثسيوس على الثور احضره الى اثينا وطاف به في شوارعها ثم قدمه قرباناً للاله ابولو . ويمضي بلوتارخ فيقول ان الاسطورة التي تتحدث عن استضافة هكلي لثسيوس وعن تكريمها لقاء ذلك لا تفتقر فيما يبدو الى اساس من الواقع ، ذلك ان الأحياء المحيطة بأثينا اعتادت ان تقيم حفلاً يسمى حفل

---

١ Ovid., Ibis.; Wilamowitz, I, p. 207; Cahen, pp. 68 ff.

٢ Suidas, loc. cit.; Wilamowitz, loc. cit., Cahen, loc. cit.; Mair, p. 5, Pfeiffer, I p. 207; Trypanis p. IX; Rose, p. 315; Webster, p. 106.

٣ Plut., Life of Theseus, 14.

هكلي على شرف الاله زيوس هكالوس (Hecalus) وانها كرمت هكلي ، وكان الناس يطلقون عليها اسم التدليل هكلين (Hecaline) لأنها عندما استضافت ثسيوس ، وكان عندئذ في ميعة الصبا ، كانت تناديه باسماء تدليل على نحو ما تفعل اي سيدة عجوز . وقبل ذهاب ثسيوس نذرت هكلي انها ستقدم قرباناً لزيوس اذا عاد سالماً معافىً لكنها توفيت قبل عودة البطل ، فلم يكن منه عندئذ الا أنه أمر بتكريمها على نحو ما سلف قوله وذلك وفقاً لرواية فيلوخوروس . ويمضي بلوتارخ فيقول ان ثسيوس خلف اباه على عرش اثينا ، واليه يعزى توحيد اتيكا في دولة واحدة عاصمتها اثينا [1] .

واذا كان لم يصل الينا من ملحمة هكلي الا شذرات متفرقة [2] ، فانه يتبين من الموجز القديم ان كالياخوس أطلق لخياله العنان في تصوير القصة مع الاحتفاظ بعناصرها الاساسية . ويحدثنا الموجز بأنه عندما نجا ثسيوس من تدابير زوجة ابيه مديا (Medea) لقتله بدس السم له ، عني ابوه بالسهر على حمايته من كل سوء . وعندما اراد ثسيوس الذهاب لمنازلة ثور مارثون تسلل ليلاً من البيت وبذلك تخلص من الرقابة التي فرضها ابوه لمنعه من هذه المخاطرة . وعندما صادفته عاصفة مطيرة وهو في الطريق لمح على بعد كوخاً صغيراً تملكه هكلي ، فذهب الى الكوخ حيث رحبت به السيدة العجوز واكرمته . وعند تباشير الصباح اسيقظ ثسيوس وذهب الى مارثون حيث تغلب على الثور ثم عاد الى كوخ هكلي . ولفرط دهشته وجد أنها توفيت فحزن حزناً شديداً وصمم على ان يكرمها لقاء حسن ضيافتها ، فأنشأ حياً اطلق عليه اسمها وأقام هيكلاً للاله زيوس هكاليوس (Hecaleios) .

---

١ Plut., 24.

٢ Trypanis, pp. 176-225.

واذا كان من العسير معرفة تفاصيل القصة على نحو ما عالجها كاليماخوس فانه مع ذلك يبين ان شاعرنا ركز اهتمامه على ذلك الجزء من القصة الذي يدور حول الليلة التي قضاها ثسيوس في الكوخ ، فهذا الجزء من ناحية يؤلف أطول حلقات هذه الملحمة ، ومن ناحية اخرى يتفق وميل الشعر الاسكندري الى تصوير ابطال الماضي في اطار الحياة اليومية العادية وليس في اطار أعمال البطولة الخارقة للعادة . ولا أدل على توفيق كاليماخوس في وصف زيارة ثسيوس الى هكلي من محاكاة اوفيديوس وغيره من الشعراء لهذه القصة [١] . والواقع ان ملحمة هكلي اكتسبت شهرة واسعة حتى العصور الوسطى فقد ظل الناس يقرأونها ويشرحونها ويعلقون عليها حتى القرن الثالث عشر للميلاد [٢] .

وقد اتخذ كاليماخوس من حديث ثسيوس مع هكلي وسيلة لسرد عدد من القصص عن مولد البطل وطفولته وأعماله وعن نشأة هكلي وحياتها الماضية [٣] . واذا كان من اليسير ربط هذه القصص بالموضوع الأصلي فان ذلك متعذر فيما يخص القصتين اللتين اورد احداهما عن اريختونيوس (Erichthonius) وبنات كيكروبس (Cecrops) ، والأخرى عن غضب الالهة اثينا على الغربان بسبب ما حملتها اليها من انباء سيئة [٤] . ويفهم من الموجز القديم ان كاليماخوس يختتم هذه الملحمة بحلقة من طراز حلقات ديوان الاسباب ، وهي الحلقة التي يفسر فيها اصول ثلاثة أشياء ، هي : ١ — انشاء حي جديد في اثينا . ٢ — تسمية هذا الحي باسم هكلي . ٣ — اقامة هيكل زيوس هكاليوس .

---

١ Ovid., Met., VIII, 620 ff.; Ps. — Virgil., Moretum; Wilamowitz, I, p. 189.

٢ Trypanis. pp. 177-8.

٣ Frs. 230 ff., Trypanis p. 180 ff.

٤ Fr. 260, Trypanis, pp. 190-7.

وفي تعليق الشارح القديم على البيت السادس بعد المائة من النشيد الثاني لشاعرنا يقول ان كاليماخوس يهاجم هنا أولئك الذين يسخرون منه لعدم قدرته على نظم قصيدة مطولة ، ولهذا السبب اضطر الى تأليف ملحمة هكلي . وانه ليتعذر علينا معرفة الى اي مدى كانت هذه الملحمة « قصيدة مطولة » ، وان كنا نتبين من « الطبعة » الكاملة لأعمال كاليماخوس انها لم تشغل اكثر من حيز « كتاب » واحد ، ومعنى ذلك انها لم تزد كثيراً على ألف بيت وهو ما كان متوسط طول اي « كتاب » من « كتب » كاليماخوس . ولا نعرف كذلك شيئاً عن تاريخ نظم هذه الملحمة ، بيد أنه اذا صح انها كانت رداً على ناقديه فلا بد من انهـا نظمت عقب « الطبعة » الأولى لديوان « الاسباب » . وفضلاً عن ذلك فان الاسلوب الرفيع المصقول صقلاً شديداً وهو الذي تتسم به الشذرات المتبقية من هذه الملحمة ينم عن ان كاليماخوس لم ينظمها الا حين بلغ أوجه في صناعة الشعر .

واذا كان بعض الباحثين[1] يرون ان ابولونيوس الرودسي اعتمد في نظم ملحمته « ارجونوتيكا » (Argonautica) على ملحمة هكلي وكذلك على ديوان الاسباب ، فان البعض الآخر[2] يرى ان العكس صحيح . وعندنا ان الرأي الاول يبدو ادنى الى الحقيقة ، وهو ما سنبينه عنـد الكلام عن ديوان الاسباب .

ديوان الاسباب (Aetia)

وهو أهم مؤلفات كاليماخوس واشهرها جميعاً ويقع في اربعة كتب لم تصل الينا منها الا شذرات متفرقة أطولها ثلاث وهي قصة حب اكونتيوس

---

[1] Pfeiffer, I passim

[2] Webster, pp. 67-8.

(Acontius) وكوديبي (Cydippe) [1] ، ومأدبة بوليس (Pollis) [2] وقربان زنكل (Zancle) = مسيني [3] . ويختلف الباحثون في تقدير عدد ابيات هذا الديوان ، وتتفاوت تقديراتهم بين ٤٠٠٠ و٧٠٠٠ بيت ، لكنهم يتفقون على ان الديوان يتألف من اربعـــة كتب . واذا كان اسم هذا الديوان الاسباب (Aetia) وكان يتناول سلسلة طويلة من الاساطير التي تتصل بتاريخ الاغريق وتفسر أصول الكثير من عاداتهم وطقوسهم وتماثيلهم ونشأة مدنهم ، على غرار ما رأينا من أمثلة ذلك في البامبيات السابعة والثامنة والتاسعة والعاشرة والحادية عشرة ، فانه لا يقف عند هذا اللون من القصص التفسيرية بل يتناول ايضاً قصصاً من طراز آخر ، ولذلك يبدو ان اسم الديوان استمد من طراز القصص التي يبدأ بها ويتكون منها الجانب الاكبر من محتوياته ، وهذا أمر كان مألوفـاً قديماً ، ولا يزال كذلك حتى اليوم . ذلك ان كتاب كاتو « الأصول » (Origines) بدأ بالحديث عن نشأة المدن الايطالية ثم استطرد فتناول تاريخها التالي . ومجموعة قصائد ثيوقريتوس « شعر الرعاة » (Pastorals) اذا كانت تبدأ بقصائد من هذا اللون من الشعر ، فانها ليست جميعاً كذلك . واليوم كثيراً ما يطلق على مجلد يتضمن مجموعة كبيرة من القصص اسم اولى هذه القصص .

ويتفق الباحثون على انه بعد نظم هذا الديوان ونشره في وقت يصعب تحديده ، راجع كاليماخوس هذا الديوان وأصدر « طبعة » جديدة له في اواخر حياته ، عندما نشر مجموعة كاملة لأعماله . وقد استهل كاليماخوس « الطبعة » الجديدة بتصدير لعله لم يكن تصديراً للديوان فحسب بل لأعماله جميعاً . ولما كان هذا التصدير يتضمن الرد على نقاده فاننا سنتناول الكلام عنه فيما بعد .

---

١ Trypanis, pp. 50-61, Frs. 67-75.

٢ Pfeiffer, Fr. 8.

٣ P. Oxy. 2080.

ويبدأ الديوان ذاته بحلم يرى فيه الشاعر نفسه وقد انتقل من ليبيا الى جبل هليكون في بيوتيا ببلاد الأغريق حيث لقنته ربات الشعر فيضاً من الاساطير . ويتبين من الشذرات الباقية من الكتابين الاول والثاني ان الشاعر اتخذ من احاديثه مع الربات وسيلة لربط الاساطير بعضها ببعض ، لكنه من العسير ان نتبين من شذرات الكتابين الثالث والرابع اي رابط بين قصصه المختلفة [1] بيد أنه اذا كان الديوان يفتقر الى الحبكة التي تكسبه طابع الوحدة فان مرد ذلك لم يكن الى العجز والقصور وانما الى النهج الذي التزمه شاعرنا دائماً وقوامه تجنب الأطالة في موضوع واحد والانتقال سريعاً من قصة الى اخرى . ولكي يبرر كاليماخوس هذا الانتقال في الديوان جعله على هيئة حلم ، فكم يتنقل الانسان فيما يراه وهو نائم من حدث الى حدث دون اي رابط بين واحد وآخر .

ومن اشهر قصص كاليماخوس التفسيرية (Aetia) القصة (Aetion) الاخيرة في « الطبعة » الثانية لهذا الديوان ، وهي تفسر سبب تسمية مجموعة من النجوم « خصلة شعر برينيقي » [2] . وبفضل الموجز القديم وقصيدة الشاعر الروماني كاتولوس « خصلة شعر برينيقي » [3] (Coma Berenices) ، وهي ترجمة حرفية لما نظمه كاليماخوس في هذه القصة ، نستطيع ان نتبين فحواها ، وهو ان الملكة القورينية برينيقي ابنة ماجاس وزوجة بطلميوس الثالث نذرت للآلهة ان تجز خصلة من شعرها وتقدمها وفاء بنذرها اذا عاد زوجها سالماً من الحرب السورية الثالثة ، وهي التي خاض غمارها بطلميوس الثالث في عام ٢٤٦/٢٤٥ ق. م. دعماً لحق ابن اخته من انطيوخوس الثاني في عرش الدولة السلوقية [4] . وبالفعل عندما عاد

---

١ Cf. Frs. 63, 64, 66, 67, 92, 93, 95, 96.

٢ Pfeiffer, Fr. 110; Trypanis, pp. 80-85.

٣ Catullus, 66.

٤ انظر ابراهيم نصحي ، الجزء الاول ، ص ص ١٢١ وما بعدها .

بطلميوس الثالث جزت برينيقى خصلة من شعرها وقدمتها قرباناً في معبد ارسينوي افروديتي زفوريتيس (معبد ارسينوي الثانية على رأس زفوريون عند كانوب)،ولكن الخصلة اختفت في ظروف غامضة فأذاع كونون ، فلكي البلاط البطلمي،ان الخصلة ارتفعت الى السماء وتكونت منها مجموعة نجوم تقع بين الدب الأكبر والعذراء والأسد . والقصة تـــدور على لسان خصلة الشعر فتروي كيف ان كونون كشفها في السماء وسط النجوم بعد أن أهدتها الملكة الى الآلهة ، وكيف ان شقيقاتها بكتهـــا عندما حرمت صحبتها ، وكيف ان ما تنعم هي به من مخالطتها لأعظم النجوم لا يخفف من لوعة أساها لأنها لن تحظى ثانية بلمس رأس برينيقى واستنشاق عبيرها الذكي.

ولما كانت هذه القصة التفسيرية (aetion) تتصل بحادث تاريخي وقع في عام ٢٤٦ – ٢٤٥ ق. م. فان هذا يدل عـلى ان كاليماخوس أصدر « الطبعة الثانية » للديوان بعد هذا التاريخ . ومن المرجح أن يكون كاليماخوس قد نظم هذه القصة ونشرها مستقلة عن غيرها[1] بمناسبة هـــذا الحادث ثم ادمجها في الديوان عندما أصدر « الطبعة الثانية » .

ومن بين القصص التي يتضمنها ديوان الأسباب قصص حب أشهرها جميعاً قصة حب اكونتيوس وكوديبي . وملخص هذه القصة هو أن شاباً وسيماً يدعى اكونتيوس رأى فتاة تدعى كوديبي مع مربيتها في أثناء الحفل السنوي لارتميس بجزيرة ديلوس . واذ وقع اكونتيوس في غرام كوديبي من أول نظرة ، تبعها الى معبد ارتميس حيث ألقى في طريق مربيتهـــا تفاحة كتب عليها « أقسم بارتميس ان اتزوج اكونتيوس » . وعندمـــا أعطت المربية التفاحة الى كوديبي وقرأت ما كتب عليها وأدركت أنهـا عن غير قصد منها ربطت نفسها بيمين ان تتزوج اكونتيوس ألقت بالتفاحة وعادت أدراجها . وحدث بعد ذلك انه كلما رتب أبوها زيجة لها وقرب

---

١ Cf. P. Oxy. 2258, No. 37.

موعد الزواج انتابها مرض غامض في كل مرة . واذ تكرر ذلك ثلاث مرات فانه في المرة الرابعة ذهب والدها الى وحي دلفي ليستشير ابولو في الأمر . وهناك علم ان سر المرض الغامض الذي كان ينتاب كوديبي هو اليمين التي ربطت بها نفسها عن غير قصد . وبناء على نصيحة ابولو زوج الوالد ابنته الى اكونتيوس وفاء بيمينها .

ومما يجدر بالملاحظة ان قصص الحب،وهي التي لم تلق عناية ملحوظة في الماضي ، كانت من أبرز اتجاهات شعراء الاسكندرية . وأشهر القصص القديمة التي من هذا اللون مستمدة منهم بطريق مباشر أو غير مباشر بعد تغيير الأسماء وادخال تعديلات طفيفة على الملابسات ، على نحو ما حدث في حالة قصة اكونتيوس وكوديبي[1] .

وليس معروفاً عدد الأساطير والقصص التي كان يتضمنها كل كتاب من كتب الديوان ، لكنه لا مجال للشك في ان كلاً منها عولجت بطريقة مختلفة . وهذا التباين وكذلك اللمحات الشخصية والواقعية الدافقة بالحيوية التي تتسم بها الرواية تنأى بأجزاء الديوان التي تتناول الأساطير من أن تصبح كتاباً جافاً في الأساطير . ويكتسب باقي الديوان متعة وحيوية عندما ينتقل الى القصص الأخرى وخاصة قصص الحب .

ويرى كثيرون من الباحثين[2] ان ابولونيوس قرأ « الطبعة الأولى » لديوان الاسباب واعتمد عليها مثل ما اعتمد على ملحمة هكلي في تأليف ملحمة الارجونوتيكا،ويدللون على ذلك بما يتضح من وجوه الشبه المتعددة بين الديوان والارجونوتيكا وبوجه خاص في الاسطورة التي تفسر طابع الطقوس بجزيرة انافى (Anaphe) ، وفي الوعود التي قطعها ياسون

---

١ Cf. Aristaenetus, Ep. I, 10; Ovid., Heroides, 20 and 21.

٢ e.g. Pfeiffer, I, passim, II, p. XII and commentary to individual fragments; Haendel, Beobachtungen z. Epischen Technik d. Apoll. Rhod., Munich, 1954.

(Jason) عـلى نفسه الإلـه ابولو ، وفي اشارات ياسون المتكررة الى الوحي ، وفي البيت الأخير من قصة بورياس . ويرد البعض الآخر من الباحثين[1] بأن التفـاصيل مختلفة في الحالين ، وبأنه إذا كان كاليماخوس صاحب الصدارة في مجال الشعر التفسيري الأساطير ، فإن ابولونيوس كان أيضاً معنياً بتفسير الأساطير بدليل انه يوجد في الارجونوتيكا ما لا يقـل عن ثلاثين تفسيراً تاريخياً لأسماء وعادات معاصرة ، على حين ان كاليماخوس لم يعالج إلا أربعة نقط من هذه الموضوعات ذاتها . فلماذا اذن لا يكون كل من الشاعرين ، وكان كلاهما يعملان في المكتبة الكبرى ، قد استمد موضوعاته من مصدر مشترك ، بل لماذا لا يكون كاليماخوس هـو الذي نقل عن ابولونيوس ؟ وردنا على ذلك في ترجيح الرأي الأول هـو : أولاً ان المسألة ليست مسألة التماثل في الموضوعات بقـدر ما هي وجوه الشبه في معالجة هذه الموضوعات . وثانياً : تعريض كاليماخوس في ختام ابيجرامته الثلاثين[2] بأولئك الذين ينقلون عن غيرهم . وثالثاً : اذا صح رأي القدامى والمحدثـين – وهو رأي يسلم به الجميع – ويقول بأن كاليماخوس قارن بين إبولونيوس والايبيس ، ذلك الطائر الذي يقتات على كل كل شيء ويلوث كل ما ليس له ، فان هذا يقطع بسطو ابولونيوس على مادة غيره من الشعراء – ومن بينهم كاليماخوس – ومعالجة هـذه المادة على نهجه الخاص قدر امكانه .

خصائص كاليماخوس والنزاع الأدبي :

ان الكثيرين من الباحثين يعتبرون كاليماخوس أبرز نموذج نمطي لعصره. فقد كان شعراء هذا العصر جميعاً يتسمون بعدد من السمات كانت احداها

---

١ Webster, pp. 67-8.

٢ Mair, pp. 156-7.

خلو اشعارهم من تلك العاطفة الوطنية المتأججة التي نألفها فيما نظمه شعراء الأزمنة السابقة لعصر الاسكندرية . وقد كانت هذه السمة نتيجة طبيعية للحياة في عصر غدا فيه الحاكم هو كل شيء ودالت فيه دولة المدينة الحرة حتى أصبحت لا تقوم الا بدور ثانوي في كنف ظله الوارف ، فخلف تملق الحاكم ذلك الشعور الوطني الجارف الذي كان في الماضي يوحي بأروع الأشعار ، وأصبحت الوطنية نوعاً من المحبة الهادئة التي يكنها الشاعر لمسقط رأسه[1] . ويعبر عن هذا الضرب من الوطنية عند كاليماخوس حنينه الى مسقط رأسه قوريني . ويتمثل هذا الحنين ليس فقط في انه استخدم في نشيديه الخامس والسادس اللهجة الدورية الشائعة الاستعمال في قوريني ؛ بل كذلك في ان نشيده الثاني موجه الى ابولو كبير آلهة قوريني ؛ وفي ان نشيده الثالث موجه الى ارتميس الأخت التوأم لأبولو ؛ وفي ان نشيده الأول موجه الى زيوس ، وكان رب الأرباب ، وفي الوقت نفسه والد ابولو وارتميس ؛ وفي ان نشيده الرابع موجه الى جزيرة ديلوس ، وهي التي شهدت مولد ابولو وارتميس ؛ وفي ان نشيده السادس موجه الى ديمتر ، وهي التي سلف القول بأن عبادتها أنشئت في قوريني منذ تأسيسها .

وكانت هناك سمة ثانية وهي افتقار أشعارهم الى المشاعر الدينية العميقة نحو الآلهة القدماء . وخير شاهد على ذلك أشعار كاليماخوس ، ذلك انه برغم أناشيده الموجهة الى الآلهة القدماء ، وبرغم كثرة حديثه عن هؤلاء الآلهة ، فإن أشعاره تخلو من الشعور الصادق بالتقوى نحوهم . وقد كان ذلك أيضاً نتيجة طبيعية للحياة في عصر الاسكندرية ، ذلك انه كان طبيعياً ان يفقد الآلهة القدماء مكانتهم الممتازة في عصر كان الملوك البشر يرفعون فيه الى مصاف الآلهة وتقام لهم المعابد وشعائر العبادة في كل مكان. فلا عجب اذن ان نرى كاليماخوس يتخذ من الآلهة الذين يمجدهم موقف المؤرخ

---

١ انظر فيليب اميل لجران ، ص ٥٢ .

الذي يسجل تاريخهم متوخياً الدقة والعنايـــة . فهو عندما يصف أحداث حياتهم وملبسهم واسلحتهم ، وعندما يتكلم عن خصائصهم ووظائفهم ، وعندما يتحدث عمن يحبون وعمن يكرهون ، يزعم انه لا يقول الا الصدق البحت ، ويحدد المكان والزمان عند تفصيل كل شيء، ويناقش الروايات المتناقضة على نحو ما نرى مثلاً في مطلع نشيده الأول « الى زيوس » . ان كل ذلك وما يماثله يخلو من كل عاطفة دينية حقيقية . ولا شك في انه لا وجود لمثل هذه العاطفة سواء حيث يصف أهل اوليمب في أثنـاء قيامهم بأدوار من الحياة العادية ، على نحو ما نرى مثلاً في أول نشيده « الى ارتميس » ، أم حيث يبدو كاليماخوس وكأنه قد استولى عليـــه الخوف والتقوى على نحو ما نرى في نشيده « الى ابولو »، ذلك ان التكلف واضح والاصطناع صارخ[1] .

وثمة سمة ثالثة وهي مسايرة الفقهاء والأدباء لركب التقدم العلمي الذي شهدته الاسكندرية في مختلف فروع العلم ، ذلك انهم عكفوا على دراسة الآداب القديمة وتصنيفها وضبط نصوصها ، وكانوا بالتبحر في فنونها وفي التاريخ والجغرافيا وعلم الآثار وما يتصل بها من أساطير ، وبإظهار سعة علمهم في مؤلفاتهم . وينعكس ذلك كله في أعمـال كاليماخوس النثريـــة والشعرية وبوجه خاص في ديوان الأسباب وملحمة هكلي والأناشيد ، فهي تتسم بطابع البحوث المكتوبة والمهارة اللغوية واستخدام الألفاظ النادرة .

بيد انه مع حرص كاليماخوس على معالجة الموضوعات التي تظهر تفقهه وغزارة علمه، ومع افتقار أشعاره الى الحماس الوطني الملتهب والى المشاعر الدينية العميقة، فإن هذه الأشعار لا تخلو من الاحساسات الانسانية الرقيقة، على نحو ما رأينا مثلاً في رثاء صديقه الشاعـر هراكليتوس ، وفي قصة حب اكونتيوس وكوديبي، وفي ابيجراماته التي تصف ما عاناه من الهوى.

---

١ انظر فيليب اميل لجران ، ص ص ٥٩ ــ ٦٣ .

وكذلك لا تترك أشعاره مجالاً للشك في تعلقه الشديد بالحياة البسيطة ، ولا أدل على ذلك من حرصه على تصوير الأبطال القدماء وكأنهم من البشر العاديين على نحو ما رأينا من أمر ثسيوس في ملحمة هكلي .

وقد كانت السمة الرابعة تجنب ما هو مبتذل شائع ومن ثم فإنهم كانوا يسعون جاهدين الى اختيار موضوعات جديدة كل الجدة أو قابلة للتناول من زاوية جديدة . وتتضح هذه السمة في كل ألوان الشعر التي نظمها كاليماخوس .

وتتمثل السمة الخامسة في الميل الشديد نحو البساطة الرشيقة في الأوزان مما كان يدفعهم الى أن يتفادوا قدر الاستطاعة الأوزان المعقدة ويبتكروا أوزاناً جديدة لم يوجد بينها وبين الأوزان القديمة أي وجه للشبه . وقد كان من أبرز سمات كاليماخوس كثرة الأوزان التي استحدثها واستخدمها في نظم أشعاره . ومع ذلك فإن شعراء الاسكندرية ، وبخاصة كاليماخوس ، أخضعوا علم العروض لقواعد أدق مما اتبعه أسلافهم .

وعند هذا ينتهي الاتفاق ويبدأ الانقسام الى مدرستين رئيسيتين يمكن تسمية احداهما مدرسة كاليماخوس، والأخرى مدرسة ابولونيوس الرودسي . وكانت المدرسة الأولى ترى ان عصر الملاحم المطولة قد ولى وانقضى ليخلفه عصر القصائد القصيرة المصقولة المعبرة عن روح العصر ، الزاخرة بثمار البحث في كنوز الماضي ، ذلك ان الملاحم المطولة بلغتها وعباراتها وصيغها التقليدية لا يمكن أن تكون سوى صور باهتة مصطنعة لملاحم هوميروس وهسيودس وايسخيلوس . أما المدرسة الثانية فإنها كانت ترى انه اذا لم يكن هناك أمل في ان تجود الأيام بملاحم مطولة أخرى من طراز الياذة هوميروس أو ثيوجونية هسيودس أو اورستية ايسخيلوس، فإن اليأس يجب ألا يتسرب الى القلوب والعقول بحيث يستبعد انتاج ملاحم جيدة غير قصيرة . وقد حاول ابولونيوس التدليل على رأيه بنظم ملحمة الارجونوتيكا وهي تتألف من حوالى ١٠,٠٠٠ بيت من الشعر .

ولعل خير ما يعبر عن وجهة نظر كاليماخوس ما نظمه في التصدير الذي أعده « للطبعة » الثانية للديوان الاسباب أو من الجائز لمجموعة أعماله الكاملة ، فقد جاء فيه (ll. 1 ff.) : « ان التلخينس[1] (Telchines) ـ وما أجهلهم وأبغضهم الى ربات الشعر ـ يبرمون بشعري لأنني لم أنظم قصيدة مطولة واحدة تستغرق آلاف الأبيات في مدح الملوك أو الأبطال.. لكن شأني شأن الطفل لا أروي إلا قصة قصيرة ، وان كنت قد بلغت من السن عتياً . وهذا ما أقوله للتلخينس : يا ايتها الفئة المشوكة التي تجيد تبديد نشاطها انني حقاً رجل قليل الكلام ، وان الأشعار الرقيقة القليلة علمتنا ان ميمنرموس أفضل من صاحب الاشعار الوفيرة[2] .... فلينتش الغرنوق بدماء الاقزام[3] وليطر بعيداً عن مصر الى بلاد التراقيين، وليطلق المساجتاي[4] (Massagetae) سهامهم على الميديين عبر مسافات شاسعة ، أما القصائد فان جمالها في قصرها . اغربوا عنا يا أهل الحسد ! ومنذ الآن يجب ان تقوموا الشعر بمعايير الفن وليس بالمقياس الفارسي[5] (Schoinos) لأبعاد الأرض . ولا يجب أن تتوقعوا مني نظم الأشعار الضخمة المدوية ، فالرعد لا يصدر عني وانما عن زيوس . ذلك انني عندما شرعت في الكتابة أوصاني ابولو بأن القربان يجب أن يكون سميناً

---

١ اعتقد القدماء ان التلخينس كانوا أهل كريت ورودس وسيكيون وكيوس أو قبرص . ويقال انهم كانوا اول صناع المعادن ، وانهم اشتهروا بالخبث والحقد ، ويطلق كاليماخوس هذا الاسم على خصومه من رجال الادب بمعنى انهم حقودون مغتابون .

٢ المقارنة هنا بين ميمنرموس والشاعر انتيماخوس الذي نظم قصيدة مطولة بعنوان لودي (Lyde)

٣ تروى اساطير الاغريق ان الغرانيق شنت حربا على الاقزام سكان اعالي النيل وابادتهم .

٤ كان المساجتاي شعبا قديما يقطن شرقي بحر قزوين .

٥ كان الأسخونيوس الفارسي مقياسا لطول ابعاد الارض شائع الاستخدام في مصر ويتراوح تقدير طوله بين ٣٠ و ٦٠ ستاديا ، اي بين ٦٠٠٠ و ١٢٠٠٠ ياردة .

أما الشعر فيجب أن يكون رشيقاً . وأوصاني كـذلك بألا أسلك الطريق العامة وانما الدرب غـير المطروق وان كان أكثر وعورة . وقد أخذت بالنصيحة فأنا أغني للذين يفضلون صوت المزمار الرفيع على نهيق الحمير».

والمقارنة هنا واضحة بين القصيـدة القصيرة المصقولة وبين القصيدة المطولة الرتيبة على نحو يبرر تفضيله الأولى. ويستدل مما أورده كاليماخوس عن نصيحة ابولو له منذ شرع في الكتابة أنه اتبع نهجه الذي كان يعيبه عليه نقاده منذ بـدأ في صناعة الشعر وأنه لم يحد عن هذا النهج طوال حياته . ومن الواضح أيضاً انه في وسط التصدير يعقد مقارنة بـين شعر ميمنرموس القليل الرقيق وشعر انتيماخوس الغزير غير الأنيق. وقد مر بنا انه في احدى ابيجراماته[1] التي لم يصل الينا منها إلا بيت واحـد هاجم كاليماخوس ملحمة لودي (Lyde) وهي التي نظمها انتيماخوس في نهايـة القرن الخامس قبل الميلاد وروى فيها عدداً كبيراً من المـآسي الغراميـة مواسياً بها نفسه بعد ان فقد حبيبته .

وفي نشيد كاليماخوس « الى ابولو » نقرأ ما يلي (Hymn II, ll. 105 ff.) :

« وإذ همس الحقد في اذن ابولو قائلاً : لا يعجبني الشاعر الذي لا تعج قصائده بالأشعار عجيج البحر بالأمواج ، ركل أبولو الحقد بقدمه وصاح قائلاً : وما أضخم النهر الاشوري (= الفرات)[2] ولكن ما أكثر مـا تحمله مياهه من أقذار . ان كاهنات ديمتر لا يجلبن اليهـا الماء من كل حدب وصوب وانما من أصفى المياه وأنقاها وهي التي يقطرها نبع مقدس نقطة بعد نقطة ؛ سلاماً ، إلهي ، وليبق النقد مقيماً حيث يعيش الحقد».

ومن الجلي ان كاليماخوس يؤكد في التصدير وفي النشيد على الأصالة في نظم الشعر وكذلك على سمو القصيدة القصيرة المصقولة عـلى القصيدة الطويلـة المحشوة بالغث والمبتذل ، وهو ما يؤكـده في ابيجرامته

---

١ Trypanis, fr. 398, p. 246

٢ Smiley, Hermathena, XXXIX, 1913.

الثلاثين[1] حيث يقول : « أمقت القصيدة الطويلة والطريق العامة والعاهر ، ولا أشرب من النافورة ، فأنا أكره كل ما هو عام ... » ومما يجدر بالملاحظة انه في ابيجرامته التاسعة والعشرين[2] يتخذ من اشادته بالشاعر القديم هسيودس معبراً للهجوم على الشاعر المعاصر اراتوس واتهامه بمحاكاة الشاعر القديم .

ومن الجلي كذلك ان كل هذه الأبيات لا تكشف عن اتجاهات كاليماخوس فحسب بل أيضاً عن معركة أدبية حامية الوطيس تتجاوب أصداؤها في اليامبية الثالثة عشرة[3] . وبفضل البقايا القليلة من هذه القصيدة والموجز القديم نستطيع أن نتبين ان نقاد كاليماخوس كانوا يأخذون عليه كذلك تعدد أنواع ما يستخدمه في أشعاره من الأوزان[4] واللهجات والمفردات التي يمتزج فيها القديم والحديث . وازاء ذلك اطلق كاليماخوس عقال لسانه السليط وراح يسخر سخرية مرة من الشعراء الذين يصلون بعضهم بعضاً ناراً حامية ، ويرد عليهم بأنه لم يفعل أكثر مما فعله الشاعر الفحل ايون[5] ،وبأنه لا يعيب الصانع الماهر انتاج انية متعددة الأشكال والأنواع . ومما تجدر ملاحظته ان كاليماخوس لم يذكر اسم أحد من نقاده سواء في هذه القصيدة ام في غيرها من القصائد الأخرى،وان وصفهم جميعاً بأهل الحسد المغتابين (التلخينس) .

---

١ Mair, pp. 156-7.

٢ Mair, pp. 156-7.

٣ Trypanis, pp. 146-151.

٤ بلغ عدد الاوزان التي استخدمها كاليماخوس ستة عشر ، انظر :
Pfeiffer, Index.

٥ كان ايون شاعرا من خيوس ولد حوالي ٤٦٠ ق٠م٠ وكان يحتل مكانة مرموقة عند فقهاء الاسكندرية ، انظر :
A von Blumenthal, Ion von Chios, 1939; Jacoby, Class. Quarterly, XII, 1947, pp. 1 ff.

وانظر الى اليامبية الرابعة[1] حيث يروي كاليماخوس قصة نقاش حاد دار يوماً بين شجرتين أصيلتين – شجرتي الغار والزيتون – نبتتا في اديم واحد ، وكيف انه ما ان فرغت كل منهما من سرد مزاياها وأسباب افضليتها على الأخرى حتى اقحمت نفسها في النقاش شجرة «سنط» وكانت تقف على مقربة منهما طالبة اليهما عدم التمادي في النقاش والتجريح « لئلا نعطي خصومنا فرصة للشماتة فينا ! » فانبرت لها شجرة الغار بقارص الكلام لاجترائها على اعتبار نفسها طرفاً في الخصومة . ومن الواضح ان مغزى هذه القصيدة الساخرة هو ان ذلك النقاش العنيف وتلك الخصومة المريرة بين فحول الشعراء واحتفال كل منهم بالتغني بمزاياه والنيل من قدر غيره ضرب من العبث يحط من قدرهم جميعاً ويتيح الفرصة لكل متأدب مهما يكن قدره ان يدلي أيضاً بدلوه في الدلاء .

ولعل اليامبية الأولى[2] كانت كلمة كاليماخوس الأخيرة في مسألة النزاع الأدبي ودعوة الى التصافي وتناسي الأحقاد[3] . وهذه القصيدة يجريها كاليماخوس على لسان شاعر يدعى هيبوناكس كان يعيش في القرن السادس قبل الميلاد واشتهر شعره بسخريته اللاذعة ونقده المر ، حتى ليقال انه بلغ من عنف القصيدة التي هاجم فيها المثال بوبالوس ان هذا المثال انتحر[4] . وقد تخيل كاليماخوس ان هيبوناكس عاد من العالم الآخر وعقد اجتماعاً لشعراء الاسكندرية الفقهاء في السيرابيوم الجديد ليستمعوا الى قصة الحكماء السبعة ، وكيف انه عندما أُعطي طالس الكأس المخصصة لأحكم الحكماء مررها الى بايون وهذا مررها بدوره الى حكيم آخر وهكذا الى ان عادت

---

١ Trypanis, pp. 118-127.

٢ Trypanis, pp. 104-113.

٣ Webster, pp. 99-100.

٤ وفقا لسويداس (s.v. Hipponax) صنع بوبالوس واثينيس تمثالا ساخرا لهيبوناكس فهاجمهما هجوما لاذعا بهذين المثالين الى الانتحار .

ثانية الى طالس فأهداها الى الإلـه ابولو . ومما له دلالته هنـا أمران ، وأحدهما انه يقوم برواية قصة الحكماء السبعة لشعراء الاسكندرية الفقهاء ، وهم الذين كانوا يتقاتلون مع بعضهم بعضاً ، شاعر سليط اللسان عائد من العالم الآخر يحرص في مستهل كلامه على ان يقرر بأن شعره لم يعد ينفث سخيمة الخصام مع بوبالوس ثم يعرض قصة الحكماء السبعة ليبرز من بين ثناياها ما كانوا عليه من تواضع وما كان يسودهم من ألفة . ومعنى رسالته واضح جلي وهو ان ما بين شعراء الاسكندرية الفقهـاء من تنابذ وتراشق غير جدير بعلمهم وحكمتهم وأبعد ما يكون عما يجب أن يتسموا به من تواضع وان يسود بينهم من ألفة ومحبة . والدلالة الأخرى تؤكد الأولى،وهي ان عقد الاجتماع الخيالي وسط تماثيل أئمة العصر الكلاسيكي من أهل العلم والفضل اذ ينم عن ايمان الاسكندريين بأنهم ورثـة التقاليد الاغريقية في مجالي الشعر والحكمة ، يستحث المعاصرين على أن ينسجوا على منوال أسلافهم . ومع ذلك فإنـه لا يفوت كاليماخوس ان يقول في هذه اليامبيـة ان « شعره أقوى من عين الحسد » وهو ما يكرره في ابيجرامته الثالثة والعشرين[1] .

* * *

وكيف نشأ هذا النزاع الأدبـي الذي يغلفه ظلام دامس ، ويبدو انه كان يقف في أحد جانبيه كاليماخوس وثيوقريتوس ، فقد كان ينحو نحو شاعرنا ويؤيد اتجاهاتـه ، بدليل ما جاء في قصيدته الحصاد على لسان ليكيداس : « انني أمقت البناء الذي يجهد نفسه في بنـاء منزل مرتفع جداً كقمة الارومدون ، وأبغض عصافير ربات الشعر التي تتعب نفسها بزقزقة لا طائل من ورائها اذا ما قورنت بمنشد خيوس » (المقصود هنا هوميروس لأنه ، وفقاً لاحدى الروايات القديمة ، ولد بجزيرة خيوس)[2].

---

١ Mair, pp. 152-3.

٢ فيليب اميل لجران ، ص ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

وكان كاليماخوس يحب ثيوقريتوس على نحو ما رأينا في ابيجرامته الثالثة والخمسين[1] .

وكان يقف في الجانب الآخر ابولونيوس واسكلبيادس وبوسايديبوس وبركسيفانس . ولعله يفسر الى حد دخول شاعرين من شعراء المراثي مثل اسكلبيادس وبوسايديبوس في نزاع أدبي مع شاعر فحل مثل كاليماخوس ذلك النقد اللاذع الذي وجهه شاعرنا الى انتيماخوس واراتوس على نحو ما رأينا في تصدير ديوان الأسباب وفي بعض ابيجراماته . أما بركسيفانس وهو الذي كتب فيه كاليماخوس رسالة نثرية بعنوان « ضد بركسيفانس» فإن أحد الباحثين[2] يفسر اشتراكه في هذا النزاع بأنه بوصفه من المشائين كان يؤمن بالقصيدة المطولة المحبوكة التي تتسم بالوحدة والترابط .

ويبين مما تقدم أنه لا يبعد ان يكون النزاع الأدبي قد بدأ في مستهل حياة كاليماخوس حول مزايا شعر انتيماخوس واراتوس ، ثم لم يلبث النزاع أن تحول الى قدرات كاليماخوس نفسه . ولم يكتف كاليماخوس بالدفاع عن نفسه بل هاجم بدوره ناقديه والذين يتخذون نهجاً مخالفاً لنهجه، وكان في طليعة هؤلاء ابولونيوس . واذا كان كاليماخوس لم يذكر ابولونيوس بالاسم في اي قصيدة من قصائده ، وكان القدامى من المعلقين على ديوان الأسباب لا يوردون اسم ابولونيوس بين نقاد كاليماخوس ، فإن الشك لا يداخل الباحثين المحدثين في ان ابولونيوس صاحب ملحمة الارجونوتيكا المطولة كان من بين من عناهم كاليماخوس حين هاجم شعراء القصائد المطولة.

وتذكر المصادر القديمة ان ملحمة الايبيس كانت هجوماً مراً على ابولونيوس قارن فيها كاليماخوس بين ابولونيوس وهذا الطائر المدمر الذي يقتات على كل شيء ويلوث بكل وسيلة ما هو نظيف وليس له[3].

---

١ Mair, pp. 174-5.

٢ Brink, Class. Quart. 40, 1946, p. 19.

٣ Cf. Suidas, s.v. Kallimachos; Pfeiffer I, p. 307, fr. 382; Mair, p. 5; Trypanis, p. IX; Rose, p. 315; Webster, p. 106.

واذا كنا لا نعرف تفاصيل هذا النزاع بين كاليماخوس وتلميذه ابولونيوس فانه يبدو مما قاله القدماء عن ملحمة الايبيس ، ومن تنديد كاليماخوس بالمقلدين ، ومن وجوه الشبه بين ديوان الأسباب وملحمة هكلي من ناحية والارجونوتيكا من ناحية أخرى – يبدو ان كثرة إقدام ابولونيوس على الاقتباس من مؤلفات استاذه ثم اعادة صياغة ما اقتبسه بأسلوبه وعلى طريقته الخاصة يفسر تلك المرارة التي كان كاليماخوس يستشعرها ، وتحول المسألة من نقاش أدبي موضوعي الى نزاع شخصي بين الاستاذ وتلميذه . ولا يبعد ان يكون قد أسهم في ذلك انه حين كان كاليماخوس في أوج مجده الأدبي كان خصمه وأكبر منافسيه رئيسه الرسمي مع انه كان يوماً تلميذه.

واذا كنا لا نعرف تاريخ نظم الايبيس فاننا نعرف ان ابولونيوس فقد منصبه بوصفه أميناً للمكتبة الكبرى في مستهل عهد بطلميوس الثالث، وهو الوقت الذي رجحنا انه يرجع اليه تاريخ نظم نشيد كاليماخوس الثاني. وهذه المسألة هامة لأن خاتمة هذا النشيد تعتبر اشادة بعزل ابولونيوس وانتصاراً لكاليماخوس في نزاعه مع ابولونيوس[1] ، مما اضطر ابولونيوس الى مغادرة الاسكندرية والذهاب الى رودس حيث قضى بضع سنوات واطلق عليه بسبب ذلك لقب «الرودسي» مع انه اسكندري الأصل .

ويقول المعلق القديم على البيت السادس بعد المائة من النشيد الثاني ان كاليماخوس نظم قصيدة هكلي رداً على الذين يتهمونه بالعجز عن نظم القصائد المطولة . واذا صح ذلك فلا بد من ان النقد الذي وجه الى كاليماخوس كان أقدم عهداً من تاريخ هذا النشيد، ولا بد ايضاً من ان رد كاليماخوس لم يكن شافياً ولا مقنعاً مما حدا به الى معاودة مهاجمة خصومه في اليامبيات وفي الايبيس وفي النشيد وفي تصدير ديوان الأسباب . وكل هذا يوحي بأن هذا النزاع دام حوالى الثلاثين عاماً .

---

١ Wilamowitz, II p. 87.

وفي ضوء ما أسلفناه ولا سيما عزل ابولونيوس من منصبه عند ارتقاء بطلميوس الثالث العرش، لا نستطيع قبول الرأي القائل بأن ذهاب ابولونيوس الى رودس كان في وقت مبكر خلال النزاع الأدبي نتيجة للهجوم الشديد الذي شنه عليه كاليماخوس في ملحمة الايبيس[1] . وعلى كل حال فان القدماء يروون ان ذات البين أصلح بين الاستاذ وتلميذه وان ابولونيوس عاد الى الاسكندرية وان الاستاذ وتلميذه دفنا في قبرين متجاورين[2] .

واذا كان ما وصل الينا من اشعار كاليماخوس لا يكفي لايفائه حقه من التقدير ، فان ما وصل الينا منها لا يدع مجالاً للشك في انه كان شاعراً ممتازاً يصور روح عصره تصويراً صادقاً ، ويتسم بالأصالة والقدرة على الابتكار ومعالجة شتى أنواع الموضوعات والتعبير عن مختلف العواطف بأسلوب دقيق رصين على انقى ما يكون من الصفاء ، حتى ليمكن مقارنة بعض مقطوعات قصائده بأرقى ما كتب باللغة الاغريقية . فلا عجب أن يكون كاليماخوس قد اكتسب من الشهرة والاقبال على قراءة مؤلفاته نصيباً فاق بكثير نصيب اي شاعر آخر من شعراء الاسكندرية . ولا ادل على سمو مكانة كاليماخوس في عالم الأدب من العدد الكبير من البرديات التي كشف عنها وتتضمن اشعاره ، ومن كثرة التجاء علماء النحو والعروض ومؤلفي المعاجم والشراح القدامى الى الاقتطاف من اشعاره على نحو لا نعرفه عن اي شاعر آخر باستثناء هوميروس .

ابراهيم نصحي

---

١ Webster, p. 64.

٢ Cf. Vita Apoll. Rhod., A., in Schol. ed. Wendel, p. 2. 5.